المجلة العلمية
لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية

https://esalexu.journals.ekb.eg
دورية علمية محكمة
المجلد الثامن (العدد السادس عشر، يوليو 2023)

دور حركة السترات الصفراء الفرنسية في التغيير السياسي [1]

د. أسامة أحمد العادلي
أستاذ العلوم السياسية المساعد
كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية
جامعة الإسكندرية
ossama.eladly@alexu.edu.eg

د. وليد حسن رجب
مدرس العلوم السياسية
كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية
جامعة الإسكندرية

أمنية أحمد محمد ابراهيم علي
باحث ماجستير بكلية الدراسات
الاقتصادية والعلوم السياسية
جامعة الإسكندرية

[1] تم تقديم البحث في 2023/4/29، وتم قبوله للنشر في 2023/6/15.

الملخص

تناولت الدراسة الدور السياسي لحركة السترات الفرنسية التي كانت قد ظهرت في عام 2018. وقد نظم الحركة الطبقتان الوسطى– الدنيا والدنيا احتجاجاً على تصاعد أسعار الوقود ومشتقاته؛ وبناءً عليه، تتأسس الدراسة على بحث جوانب التغيير السياسي التي حققتها الحركة، وذلك باستخدام المنهج الاستقرائي لملاحظة وتتبع ظهور الحركة وتطورها على مدار مراحلها المختلفة. وقد انتهت الدراسة إلى وجود دور لحركة السترات الصفراء في التغيير السياسي في فرنسا من خلال مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي من الممكن أن تؤثر على مدى التغيير. إضافةً إلى ذلك، توجد مجموعة من النظريات والمداخل التفسيرية التي يمكن استخدامها لتحليل ظهور حركة السترات الصفراء، فقد نجحت في تحقيق التغيير السياسي جزئياً في فرنسا نظراً لاستمراريتها في المناداة بمجموعة من المطالب الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، خاصةً أنها لاقت دعماً واسعاً في المجتمع الفرنسي، كما أنها أثرت على البرامج الانتخابية لمرشحي الانتخابات الرئاسية الأخيرة لعام 2022، حيث عكست برامجهم مدى اهتمامهم بحركة السترات الصفراء.

ABSTRACT

This study has explored the role of the French Yellow Vests Movement that started in 2018 as case study. The movement was organized by the lower – middle and lower classes as a result of the continuous escalation of fuel prices, and accordingly the introduction of new taxes, which was elaborated by the government as a serious step to confront the climate change. Consequently, the study had examined the various aspects of political change that the movement had achieved. The study had used the inductive method to observe the emergence of the movement, and to track its development through its different stages. The study had concluded that the Yellow Vests Movement played a key role in political change based on a set of internal and external determinants that could influence the scope of change, Furthermore, the yellow vests movement could be analyzed through several theories and approaches. The movement was inherently successful in accomplishing a set of social, economic, and political goals that were demanded since the beginning of the movement. This success is due the persistence of the movement's members and the public support the movement

had gained. Moreover, the movement had influenced the last presidential elections in France, as the candidates' campaigns shows that they were highly affected by the movement.

مقدمة

تتسم حركة السترات الصفراء الاجتماعية بكونها حركة ذات أبعاد سياسية واجتماعية مستقلة عن النظام السياسي، فهي تمثل تنظيماً غير رسمي تأسس احتجاجاً على بعض الأوضاع الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو السياسية، أو الثقافية. أما البعد الاجتماعي فيتعلق بكونها منظمة من قبل الطبقات الاجتماعية المختلفة، وأنها لا تنصب على التغيير السياسي فقط، بل قد تسعى إلى التغيير في الأوضاع الاجتماعية، على اعتبار أن أي تغيير سياسي ينطوي على تغيير اجتماعي بالمثل، وهنا تظهر سمة هامة للحركات الاجتماعية، وهي كونها تسعى إلى التغيير في حد ذاته، فلا تسعى إطلاقاً إلى الوصول للسلطة، وهو الأمر الذي يميزها عن الكيانات الأخرى مثل جماعات الضغط والمصالح والأحزاب السياسية. وقد تقوم الحركات الاجتماعية بهدف مقاومة التغيير والإبقاء على الأوضاع الحالية.

وقد يتداخل مصطلح الحركات الاجتماعية مع مصطلح الحركات الاحتجاجية. وفي هذا السياق، أشار Jasper إلى ذلك الأمر حيث أكد على أن الحركات الاحتجاجية تصبح اجتماعية حين يكون لها هيكل تنظيمي واضح؛ ومن ثم تعد الحركات الاحتجاجية جزءاً من الحركات الاجتماعية (Jasper,2014,pp.14-15). وتتعدد الأساليب الاحتجاجية التي تعتمد عليها الحركات الاجتماعية وتتمثل في المظاهرات، الإضرابات، الاعتصامات، الوقفات الاحتجاجية، وغيرها (Edwards,2014,pp.5-6). ويتضح مما سبق أن الحركات الاجتماعية أعم وأشمل من الحركات الاحتجاجية، فتعد الأخيرة جزءاً من الأولى، وبالتالي، ستستخدم تلك الدراسة مصطلح الحركات الاجتماعية لدراسة دورها في التغيير السياسي.

وتوجد مداخل ونظريات تفسيرية عدة لتحليل الحركات الاجتماعية من حيث عوامل تنظيمها، وأضافت بعض النظريات كيفية استجابة النظام السياسي لها، وذلك من خلال التركيز على مراحلها المختلفة بدايةً من الظهور، ومرورًا بالتبلور، والبقرطة الإدارية، وحتى مرحلة التراجع التي تنتهي لها الحركات الاجتماعية.

وبناءً على ما سبق، تقوم تلك الدراسة على بحث دور الحركات الاجتماعية في التغيير السياسي، من حيث تأثير تلك الحركات على عملية صنع القرار، والمؤسسات السياسية، وكذلك المجتمع ككل. وتناولت الدراسة حركة السترات الصفراء التي بدأت عام 2018 نظراً لتصاعد الضرائب عقب ارتفاع أسعار الغاز والوقود، واستمرت حتى عام 2022. وفي هذا السياق، لا يمكن إغفال دور مواقع التواصل الاجتماعي في نجاح حركة السترات الصفراء حيث إنها ساهمت في انتشار الحركة، وأهدافها وأنشطتها، ومن ثم يجب تسليط الضوء على الآثار الايجابية والسلبية لتلك المواقع حيث إنها يمكن أن تكون سلاحاً ذا حدين.

وأخيراً، تكشف الدراسة عن المداخل النظرية المفسرة لظهور الحركة، بالإضافة إلى أهدافها، ومطالبها، كما تعرض لمراحل الحركة المختلفة بدايةً من ظهورها وحتى تراجعها، كما تتناول دور القيادة في تنظيم الحركات الاجتماعية، مع الاخذ في الاعتبار وجود نمط جديد من القيادة يمكن تسميته بالقيادة الالكترونية، وكذلك دور المحددات الداخلية والخارجية في تحديد مدى نجاح الحركات الاجتماعية في تحقيق التغيير السياسي. ويجب التركيز على حركة السترات الصفراء الفرنسية التي، وما أحدثته من تغيير في فرنسا، حيث لاقت الحركة شهرة واسعة منذ بدايتها، ومن ثم استحقت البحث والدراسة.

مشكلة الدراسة

ترتبط المشكلة البحثية "بحركة السترات الصفراء" التي بدأت في فرنسا عام 2018 اعتراضاً على ارتفاع أسعار الوقود والمحروقات، ومن ثم تصاعد الضرائب، وكذلك بصعوبة تصنيف الحركة، وتحديد نمط القيادة ودورها فيها. وتأسيساً على ذلك، للدراسة تساؤل رئيسي وهو: " ما دور حركة السترات الصفراء كحركة احتجاجية في التغيير السياسي بفرنسا؟"، وتتدرج تحت هذا التساؤل الفرعي حملة تساؤلات فرعية على النحو التالي:

- ما المقصود بالحركة الاجتماعية؟ وما أبرز المداخل والنظريات التفسيرية المعنية بتحليلها؟ وما أهم العوامل الداخلية والخارجية المحددة لفعاليتها في تحقيق أهدافها؟
- ما مفهوم التغيير السياسي؟
- ما كنه حركة السترات الصفراء؟ وما طبيعتها وأهدافها وآلياتها؟

- ما مستوى فعالية حركة السترات الصفراء في تحقيق أهدافها؟ وما حجم التغيير السياسي الذي أنجزته الحركة في الواقع الفرنسي؟
- ما محددات نجاح حركة السترات الصفراء في تحقيق التغيير السياسي في فرنسا؟
- ما مستقبل حركة السترات الصفراء في فرنسا؟

هدف الدراسة

يتعلق هدف الدراسة بالكشف عن دور حركة السترات الصفراء كحركة احتجاج في التغيير السياسي بفرنسا، بما يتطلبه ذلك من تعريف بكنه الحركة وطبيعة أهدافها وآلياتها، والمحددات الداخلية والخارجية التي أثرت على فعالية الحركة في تحقيق ما استهدفته من أهداف، ومستوى التأثير السياسي الذي أحدثته الحركة في الواقع السياسي الفرنسي بكل معطياته ومكوناته وتفاعلاته. وجوانب التغيير الذي أنجزته حركة السترات الصفراء، وكذلك بحث المحددات الداخلية والخارجية لحركة السترات الصفراء التي أثرت في نجاح الحركة في تحقيق التغيير السياسي، وأخيراً، السيناريوهات المستقبلية المحتملة لحركة السترات الصفراء.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي بهدف ملاحظة حركة السترات الصفراء منذ ظهورها، والتركيز على تطورها عبر مراحلها المختلفة، ولدراسة أنشطتها واستراتيجياتها، وكذلك أساليب الحشد المستخدمة بها، كما استخدمت الدراسة منهج "دراسة الحالة" لدراسة دور حركة السترات الصفراء في فرنسا، وكذلك "مدخل الجماعة" لدراسة تعاون أعضاء حركة السترات الصفراء لتنظيم أنشطة الحركة وتحقيق أهدافها.

تقسيم الدراسة

تنقسم الدراسة إلى مبحثين، يتعلق الأول بالإطار النظري للدراسة، ويدور الثاني حول التعريف بحركة السترات الصفراء الفرنسية ودورها في التغيير السياسي.

المبحث الأول
الإطار النظري للدراسة

يعرض هذا المبحث للتعريفات النظرية وأيضاً لخصائص الحركات الاجتماعية، كما أنه يكشف عن المراحل التي تمر بها حركة السترات الصفراء، ثم يتناول المبحث تعريف التغيير السياسي، وكذلك عرض المداخل والنظريات التفسيرية لتحليل الحركات الاجتماعية، وأخيراً، المحددات الداخلية والخارجية للحركات الاجتماعية والتي تحدد مدى نجاح الحركة في تحقيق التغيير السياسي.

1. تعريف الحركات الاجتماعية

تعرف الحركات الاجتماعية على أنها "تشكيل مجموعة من الأفراد خارج الإطار المؤسسي للدولة، يكون بمثابة تحدٍ لها ولمؤسساتها ونظام الحكم، وبحيث تكون أنشطتها على درجة من التنظيم والاستمرار، وتهدف تلك الحركات إما إلى التغيير الاجتماعي، وإما إلى مقاومة التغيير" (Snow,Soule,2010,pp.6-7)، أو "مجموعة من التفاعلات غير الرسمية بين مجموعة من الأفراد أو المجموعات والمنظمات باعتبارهم أطرافاً في نزاعات سياسية أو ثقافية مع وجود هوية جماعية مشتركة بين أعضاء تلك الحركات" (Diani,1992,pp.1-25) وتنقسم الحركات الاجتماعية إلى عدة أنواع، مثل الحركات الاجتماعية المحافظة، الحركات الاجتماعية الجديدة، الحركات الاجتماعية الثورية، أو الحركان الاجتماعية الإصلاحية (DeFranzo, Gill, 2019, pp.27-28).

ويتبين من خلال التعريفين السابقين بعض من خصائص الحركات الاجتماعية، والتي تتمثل فيما يلي: أولاً، تقوم الحركات الاجتماعية على درجة من التنظيم والاستمرار، ثانياً، قيام الحركات الاجتماعية خارج الإطار المؤسسي للدولة، ثالثاً، الحركات الاجتماعية نشاط جماعي، رابعاً: تنطوي على علاقات وشبكات غير رسمية، خامساً: وجود هوية مشتركة بين الأعضاء، سادساً، تهدف الحركات الاجتماعية إلى التغيير.

وتمر الحركات الاجتماعية بعدة مراحل تتمثل في الظهور، التبلور، البقرطة الإدارية، والتراجع، وتتسم مرحلة الظهور بمشاعر الغضب نتيجة بعض الظروف أو الأوضاع الاجتماعية غير المرضية لبعض الطبقات، ويظهر خلال تلك المرحلة دور الوسائل الاعلامية في تغطية الأوضاع المتسببة في الشعور العام بالغضب (Christian,2009,EBSCO Research Starters). أما

مرحلة التبلور، فتتغلب الحركة خلالها على كافة العوائق التي من الممكن أن تعيقها، وتتطور مشاعر الغضب لتصبح جماعية وظاهرة بصدد جهة محددة بعد أن يتطور التواصل بين أعضاء الحركة وتحدد القادة الاستراتيجيات اللازمة لقيام الحركة (Fylm, 2013, PP.28-29).

وتنتقل الحركات الاجتماعية خلال مرحلة البقرطة الإدارية إلى مستوى أعلى من تنظيم الاستراتيجيات، كما يعمل الأعضاء على نشر الوعي بالقضية بين الجماهير، وتعتمد الحركات الاجتماعية خلال تلك المرحلة على الخبرات المتخصصة لإدارة العمليات والأنشطة اليومية (Christian,2009,EBSCO Research Starters). أما المرحلة الأخيرة، وهي التراجع، فلا يشترط أن ترتبط بفشل الحركة وعدم قدرتها على مواكبة التغيرات الخارجية، بل قد يكون بسبب نجاحها في تحقيق أهدافها، أو بسبب القمع من قبل الأجهزة الأمنية، أو لتفككها نتيجة مركزية السلطة الداخلية أو بانسحاب رموزها وقادتها (Imhonopi, D, Urim ,2013,pp.76-85) .

وبناءً عليه، قد تتداخل بعض المراحل، مثل مرحلتي الظهور والتبلور، فتظهر مشاعر الغضب، وتتحول إلى مشاعر جماعية خلال مدة قصيرة، خاصةً مع تمكن الحركة من التغلب على كافة العراقيل التي قد تهدد ظهورها لتبدأ الأنشطة الاحتجاجية للحركة، وقد تختفي بعض المراحل الأخرى، مثل مرحلة البقرطة الإدارية، فلا يشترط أن تعتمد الحركة على الخبرات المتخصصة للوصول لأهدافها، أما فيما يخص مرحلة التراجع فقد تتوقف الحركة نتيجة الأزمات العالمية الطارئة مثل الأوبئة العالمية، أو الحروب.

2. تعريف التغيير السياسي

ناقشت مارجريت تعريف فليكس كولب للتغيير السياسي، بأنه "المخرجات المتعلقة بالدولة، والتغييرات المتعلقة بالسياسة، والسياسات العامة ونظام الحكم"، وأكَّدت أن هذا التعريف ينقصه النص على التغييرات غير المؤسسية التي تحدث من خلال المشاركة في الحركات الاجتماعية؛ إذ تؤثر المخرجات السياسية غير المؤسسية في إدراك الأفراد وتفاعلهم مع المؤسسات السياسية، وبناءً عليه، يُعرَّف التغيير السياسي بأنه: "التغيير على مستوى السياسات العامة للدولة والسياسة، بالإضافة إلى التغييرات غير المؤسسية في الوعي السياسي للمشاركين في الحركات الاجتماعية وكذلك المواطنين كافة (Bide,2015,pp.4-6).

ولا يقتصر التغيير السياسي على تغيير السياسة العامة والعمليات والمؤسسات السياسية، أو تغيير ميزان النفوذ والقوة داخل المجتمع، أو التغييرات غير المؤسسية، فقد يمتد أثره إلى ظهور أنساق وظواهر اجتماعية وسياسية لم تكن موجودة من قبل، مثل نشأة أحزاب سياسية جديدة، أو ظهور بعض جماعات الضغط أو المصالح، أو نشأة حركات اجتماعية مضادة، ولذلك فالتغيير السياسي لا يشير فقط إلى الأوضاع المستقرة داخل المجتمع، لأنه قد يفضي إلى ظهور أوضاع ومؤسسات وبنى سياسية جديدة.

وفي ضوء ما سبق، يمكن تعريف التغيير السياسي بأنه "التغيير الذي يشير إلى التحولات والتغيرات المؤسسية المتعلقة بطبيعة المؤسسات والعمليات السياسية، وكذلك التغيرات غير المؤسسية المتعلقة بمدى وعي الأفراد والتفاعل فيما بينهم وبين المؤسسات السياسية، وكذلك التغيير بالسياسات والقرارات العامة مما يؤثر في عملية صنع القرار، وفي ظهور بنى وظواهر سياسية جديدة"

3. التعريف بالنظريات والمداخل التفسيرية للحركات الاجتماعية

تتعدد المداخل التفسيرية لظاهرة الحركات الاجتماعية؛ فهناك على سبيل المثال نظرية الحرمان النسبي، ونظرية تعبئة الموارد، ونموذج العملية السياسية، نظرية الضغوط البنائية.

أولاً: نظرية الحرمان النسبي

صاغ "صامويل ستوفر"Samuel Stoffer مصطلح "الحرمان النسبي" عام 1949، ثم تطور فصار نظرية تهدف إلى التنبؤ بمجموعة من الظواهر المتنوعة ولدراسة العدالة الاجتماعية، ويعرف الحرمان النسبي بأنه "شعور جماعة معينة بعدم الرضا عن أوضاعها مقارنةً بجماعة أخرى مما يولد الشعور بالغضب" (Smith, Pettigrew, 2015, p.2)، أو أنه " إدراك الفرد لشعوره بعدم الرضا أو الغضب من أوضاع الجماعة التي ينتمي إليها مقارنةً بأوضاع جماعة أخرى، بالإضافة إلى تعارض أوضاع الفرد مع التوقعات المتزايدة" (Gurney, Tierney, 1982, p.34). وبناءً عليه، ينظم الأفراد والجماعات الحركات الاجتماعية نظراً لإدراكهم لسوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية مقارنةً بجماعة أخرى، أو عند مقارنة الأوضاع المعيشية التي كان من المتوقع أن يتمتعوا بها بالأوضاع الحالية.

وإجمالًا فوفقاً لنظرية الحرمان النسبي، يكون المواطنون في حالة مقارنة دائمة بين الماضي والحاضر والمستقبل فيما يخص أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، ويطمحون للأفضل في المستقبل وهو ما يطلق عليه "التوقعات المشروعة"، لكن في حال فشلت الحكومة في تحقيق هذه التوقعات، فإن ذلك يخلق فجوة بين توقعاتهم المشروعة وأوضاعهم الحالية، مما يولد شعورًا عميقًا بالحرمان النسبي الجماعي لفئة كبيرة من المجتمع، خاصةً عندما يقارنون أوضاعهم المعيشية بأوضاع الطبقات العليا، ومن هنا يلجأ أولئك الأفراد إلى الاحتجاجات والمظاهرات؛ لتحقيق أهدافهم وللضغط على الحكومة حتى تستجيب لمطالبهم.

ثانياً: نظرية الفرص السياسية

يشير مصطلح الفرصة السياسية إلى "البيئة المحيطة التي تمكن أعضاء الحركات الاجتماعية من تقييم كيفية تحقيق أهدافهم بفاعلية أو بأنها عنصر بيئي يساهم في قيام الحركات الاجتماعية من خلال عمليات الحشد"، وتنقسم آليات الفرص السياسية إما إلى "تقلص الفرص السياسية"، أو "زيادة الفرص السياسية"، وتشير الأولى إلى "قدرة الدولة على ممارسة القمع ضد الحركات الاجتماعية"، بينما تشير الأخيرة إلى "تطبيق الدولة للسياسات المناسبة استجابةً لمطالب الحركات الاجتماعية" (Suh, 2001, pp.438-440).

ويمكن تعريف "اتساع نطاق الفرص السياسية" بأنها "التغيرات الطارئة على النظام السياسي القائم وهياكله المؤسسية، حين تضييق الفجوة بين الدولة والقوى المناهضة من حيث القوة النسبية، فتتمكن القوى المناهضة من استغلال الفرص المتاحة لتأسيس النظام الذي يعبر عن مطالبها، وقد يحدث العكس في حالة انكماش نطاق الفرص السياسية وازدياد الضوابط الأمنية؛ إذ تعجز الحركات الاجتماعية عن تمثيل مصالحها أو تحدي السياسات القائمة (عز الدين، 2005، ص.63).

وفي ضوء التعريفات السابقة، يمكن تعريف " الفرص السياسية" بأنها " البيئة المحيطة للحركات الاجتماعية التي تضم مجموعة من العوامل والمؤثرات السياسية وغير السياسية، وتتمثل هذه العوامل في طبيعة النظام السياسي ومؤسساته، والموارد المتاحة، والخلفيات التاريخية، والثقافة السياسية، وقدرة الأفراد على استغلال هذه العوامل من أجل تنظيم الحركات الاجتماعية بهدف تحقيق أهداف محددة، من خلال استراتيجيات وأنشطة منظمة"

وبناءً عليه، يتضح أن الحرمان النسبي وحده ليس كافياً لتنظيم الحركات الاجتماعية، بل يجب أن تتوفر العناصر المناسبة بالبيئة السياسية المحيطة بالحركات الاجتماعية، حيث إنه من الممكن أن تشكل البيئة السياسية عائقاً أمام تنظيم الحركات الاجتماعية في حالة قمع الأجهزة الأمنية لتلك الحركات بالقوة، أو من خلال اعتقال قادة تلك الحركات، لكن في حالة انفتاح البيئة السياسية لاستقبال مطالب جديدة، فإن ذلك يسمح للحركات الاجتماعية باستغلال الموارد والفرص المحيطة لتنظيم الأنشطة الاحتجاجية.

ثالثاً: نظرية الضغوط البنائية

اهتم "Smelser" بدراسة كافة الأبعاد التي طرحتها النظريات الأخرى بهدف بناء نظرية متكاملة وشاملة، معتمداً على مصطلح القيمة المضافة، وقد قام ببناء النظرية على ستة شروط متكاملة لتفسير قيام الحركات الاجتماعية أو غيرها من أنماط العمل الجمعي، وتتمثل تلك المؤشرات في: أولاً: البواعث البنائية، ثانياً: التوترات البنائية، ثالثاً: تبلور ايديولوجية الحركة، رابعاً: دور العوامل المعجلة، خامساً: التعبئة للحركة، سادساً: الضبط الاجتماعي. وينطوي مصطلح القيمة المضافة على أهمية تكامل المراحل الأولى للعمل الجمعي، بحيث تتبع تلك الشروط أو المراحل تسلسلاً، بحيث يؤدي كل شرط فيه دوره حتى تكتمل عملية تنظيم العمل الجمعي (نوير،2008، ص. 102-101).

وتشير البواعث البنائية إلى مدى ملاءمة النظام الاجتماعي للعمل الجماعي، حيث يمكن أن يكون ذلك النظام عائقاً أو عاملاً مساعداً لتنظيم الحركات الاجتماعية، وتنقسم البواعث البنائية إلى البواعث الاجتماعية التي ترتبط بإدراك الأفراد للقيود والمشكلات التي تواجههم، وكذلك البواعث المادية التي تسير إلى المساحات والأماكن العامة المناسبة للاحتجاج والتظاهر (Safer, 2018, p.4) .

ويمكن تعريف الضغوط البنائية بأنها شعور الأفراد بالحرمان الاقتصادي، الذي يدفعهم إلى تنظيم العمل الجماعي أو المشاركة فيه، لكن يجب أن يتوفر الشرط الأول المتعلق بالبواعث البنائية وإلا لن يشكل الشعور بالحرمان الاقتصادي عاملاً كافياً لتنظيم الحركات الاجتماعية، بينما يشير تبلور ايديولوجية الحركة إلى أهمية وجود ايديولوجية واضحة للحركة حتى تمثل مصدر الضغوط التي يعاني منها أعضاء الحركات الاجتماعية، وتساهم في صياغة أهداف ذات معنى 1962,pp.15-(Smelser,16).

وهكذا، ترتبط البواعث البنائية بشعور الأفراد بالحرمان، بينما تفضي الايديولوجية إلى الحلول المحتملة لتلك الأزمات، ليأتي دور العوامل المعجلة ويهول من كل العوامل السابقة (Saffer, 2018, p.6). وتحول العوامل المعجلة ايديولوجية الحركة إلى إبجراءات ملموسة (Smelser,1962, pp.352-353). إضافةً إلى ذلك، لا يمكن إغفال أهمية الأعداد المشاركة في الحركة حتى تحقق التأثير المأمول، وهو الدور الذي تقوم به القيادة بجانب تنسيق جهود الحركة وأنشطتها، ويعرف ذلك البعد بالتعبئة للحركة (نوير،2008، ص. 103).

ويعبر البعد الأخير الخاص بالضبط الاجتماعي عن عناصر خارجة عن الحركة تسعى إلى التأثير فيها، مثل الأجهزة الشرطية، أو الرقابية، أو وسائل الإعلام، أو حركات مناهضة تسعى إلى أهداف مختلفة. وهناك وسائل ثلاث قد تلجأ لها السلطة للضبط الاجتماعي: مثل الردع، وتحويل المسار، واحتواء العمل الجماعي (Saffer, 2018, p.7).

وبناءً على ما تقدم، يتضح أنه لا يمكن أن تفسر نظرية واحدة منفردة تنظيم الحركات الاجتماعية، وإن كانت نظرية الضغوط البنائية هي الأعم والأشمل، كما أن لكل حركة اجتماعية ظروف مختلفة، بحيث يمكن تفسيرها بنظرية واحدة أو أكثر، فكل متوقف على طبيعة الحركة محل الدراسة.

4. دور الحركات الاجتماعية في التغيير السياسي

ينقسم التغيير السياسي إلى، أولاً: التغيير بالسياسات العامة، ويتعلق بتغيير الأجندة السياسية، ثانياً: التغيير المؤسسي، ويتعلق بالتغيير الإجرائي والتغيير الداخلي للمؤسسات، ثم أضافت نوعاً ثالثاً: هو التغيير غير المؤسسي، ويرتبط بالتأثير في الرأي العام والوعي السياسي (Bide,2015,pp.28-29).

يرتبط التغيير بالسياسات العامة بالتأثير على الأجندة السياسية أو العملية التشريعية بما يخدم أهداف الحركات الاجتماعية ومطالبها، وقد تكتسب الحركة تأثيراً أقوى في حالة دعم النخبة السياسية أو الرأي العام، أما التغيير السياسي المؤسسي فيتعلق بتحول العلاقة بين الحركات الاجتماعية وبعض المنظمات السياسية مثل الأحزاب السياسية، والتغيير بالمؤسسات السياسية ذاتها، ويتسم هذا التغيير – على الرغم من صعوبة تحقيقه – بالبقاء لفترات طويلة، وأخيراً، يشير التغيير السياسي غير المؤسسي إلى التغيير بالسير الذاتية او الحياة الشخصية لأعضاء الحركات الاجتماعية، أو بالتأثير على الوعي السياسي والرأي العام (Bide,2015,pp.28-29).

5. محددات دور الحركات الاجتماعية في التغيير السياسي

تنقسم محددات فعالية دور الحركات الاجتماعية في تحقيق التغيير السياسي إلى، محددات داخلية ومحددات خارجية للحركات الاجتماعية. وتنقسم المحددات الداخلية إلى دور القيادة، إستراتيجيات الحركات الاجتماعية والتي تنطوي على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، تعبئة الأفراد والأعداد المناسبة للمشاركة في الحركات الاجتماعية، والتماسك الداخلي للحركة، بينما تنقسم المحددات الخارجية إلى محددات اقتصادية، أي مدى وفرة الموارد المالية اللازمة لتنظيم الحركة ومحددات سياسية، وتتفرع الأخيرة بدورها إلى الثقافة السياسية، القابلية للتحاور، وسائل الإعلام، والدعم الخارجي للحركة.

المبحث الثاني
دور حركة السترات الصفراء الفرنسية في التغيير السياسي

يتناول هذا المبحث ظهور حركة السترات الصفراء، ومراحل تطورها، وتصنيفها، وكذلك على استخدام النظريات والمداخل التفسيرية للحركات الاجتماعية لتحليل قيام حركة السترات الصفراء، كما أنه يسلط الضوء على دور حركة السترات الصفراء في التغيير السياسي في فرنسا ومحددات نجاحها، بالإضافة إلى السيناريوهات المستقبلية لحركة السترات الصفراء.

1. ظهور حركة السترات الصفراء

بدأت حركة السترات الصفراء خلال شهر نوفمبر عام 2018 نظراً لعوامل عدة، يأتي على رأسها قرار الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون برفع قيمة الضريبة على أسعار الوقود، مما شكَّل عبئاً اقتصادياً على بعض الطبقات، بالإضافة إلى المطالبة بتحقيق العدالة الاقتصادية واعتماد الديمقراطية المباشرة نظاماً للحكم، ويتكون أعضاء الحركة من الطبقة الوسطى– الدنيا والطبقة الدنيا، وبما أن هاتين الطبقتين تشكلان فئة اجتماعية مزدوجة، فقد تمت تسميتهما بأنهما "الطبقة الوسطى الصغيرة" (Devellens,2021,pp.1-10).

وتتعلق مطالب حركة السترات الصفراء بتحقيق العدالة الاجتماعية، والتوزيع العادل للدخول وأعباء الضرائب، وتطبيق الديمقراطية المباشرة، والمشاركة في العملية التشريعية وتقرير السياسات

الحكومية، وتطوير المؤسسات السياسية (Buechi,2018,pp.26-27). كما ترتبط مطالب حركة السترات الصفراء بالإصلاح الاقتصادي، خاصةً فيما يتعلق بظروف العمل، والإصلاح السياسي، وإصلاح السياسات الخارجية، والإصلاح البيئي، والإصلاح في مجال الصحة(Cole,2020) .

وأكَّدت حركة السترات الصفراء أن طبيعة القيادة داخلها أنها قيادة أفقية، وأنه ليست لها قيادة رسمية، على الرغم من إعلانها عن مجموعة من المتحدثين الرسميين، وهم: "بريسيلسيا لودوسكيPriscillia Ludosky"، و"إيريك درويه Eric Drouet" و"ماثيو بلافير" Mathew Blaver، و"مارير شاريت لابادي "Marer Sharet Labady، "جولين تيرير"Julien Terner، "ماكسيم نيكول "Maxim Nicole، و"جاسون هيربرت Gamson Herbert "، و" توماس ميرالس "Thomas Merlas، وانضم لهم "جيروم رودريج "Jeorome Rodgreg فيما بعد، وتمثل تلك الرموز الطبقة الوسطى. و" بريسيلسيا لودوسكي"، "إيريك درويه" و"جيروم رودريج" أبرز رموز الحركة، خاصةً بعد ترك معظم الرموز السالف ذكرهم الحركة لأسباب عدة، وترتبط شهرة هؤلاء الرموز بدورهم على مواقع التواصل الاجتماعي أولاً، ثم المشاركة في الاحتجاجات تالياً وأخيراً، التغطية الإعلامية لدور تلك الرموز (Hamalainen,2020,pp.22-23) .

وكانت "بريسيليا لودوسكي" أول من أعلنت اعتراضها على ارتفاع أسعار الوقود ومشتقاته، عبر ما نشرته على مواقع التواصل الاجتماعي، كما شاركت في الاحتجاجات، وكانت المتحدث الرسمي للحركة خلال اللقاءات التلفازية، أما "إيريك درويه" فكان المسئول عن إنشاء صفحة "فرنسا الغاضبة" على فيسبوك، واستخدمها في التعبير عن آرائه السياسية، مع البث المباشر للاحتجاجات، وتسليط الضوء على قمع الأجهزة الشرطية للمواطنين فيها وكذلك المناظرات العامة وجلسات الحوار مع الحكومة (Bianca,2019,pp. 6-7).

وقد بدأت حركة السترات الصفراء بعدما هاجمت المنشورات والتغريدات الإلكترونية الإصلاحات الاقتصادية وقرارات زيادة الضرائب، ومن هنا يتضح ارتباط شعور الأفراد بالحرمان النسبي بمشاعر الغضب والاعتراض التي مهدت للاحتجاجات والمظاهرات، خاصةً حين أدرك أعضاء الحركة الفروق الاقتصادية بينهم وبين أبناء الطبقات الاجتماعية الأخرى (Frederic, 2020,pp.99-118) .

وبخصوص الاستراتيجيات التي اعتمدت عليها الحركة، فقد كان الاعتماد الأول على فيسبوك وتويتر من أجل جمع المعلومات وتوطيد التواصل بين المتظاهرين، بجانب حشد أعداد جديدة منهم للمشاركة في الاحتجاجات، بالإضافة إلى ظهور المتحدثين الرسميين باسم الحركة من خلالها(Bianca,2019,pp. 6-7). وقد اعتمدت الحركة على نوعين من الاحتجاجات، التظاهر العام بالميادين العامة، والمسيرات الأسبوعية يومي السبت أو الأحد أحياناً (Frederic, 2020, pp.99-118).

ويتضح مما سبق نمط القيادة الإلكترونية لحركة السترات الصفراء، واعتمادها على مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات الالكترونية كجزء أصيل من استراتيجياتها، وذلك ليس فقط للدعوة غلى الحركة، بل من أجل بث الاحتجاجات والمظاهرات وحلقات الحوار مع النخبة السياسية. والجدير بالذكر انه كما تطور نمط التواصل بين أعضاء الحركة من التواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي إلى التواصل الفعلي خلال الاحتجاجات، تطورت طبيعة الاحتجاجات ذاتها من سلمية إلى تصادمية وعنيفة.

2. تعريف حركة السترات الصفراء كحركة اجتماعية

في ضوء التعريفات النظرية، والخصائص العامة التي أشارت لها الدراسة خلال الإطار النظري، يمكن تعريف حركة السترات الصفراء كحركة اجتماعية كما يلي:

- **قيام حركة السترات الصفراء على درجة من التنظيم والاستمرار**

تمكنت "بريسيليا لودوسكي" عام 2018 من جمع عدد كبير من التوقيعات على احتجاجاً على رفع أسعار الوقود وقيمة الضريبة عليها، ثم دعا "إيريك درويه" إلى الاحتجاجات العامة عبر فيسبوك لتصبح تلك هي البداية لتنظيم حركة السترات الصفراء، وقد ارتدى المتظاهرون السترات الصفراء للتعبير عن مشاركتهم في الحركة استجابةً لدعوة " Ghislain Coutard "، الذي دعا المتظاهرين إلى ارتداء السترات الصفراء للتعبير عن تأييدهم للحركة (Bristow, 2019, pp.65-78).

وقد نظم المتظاهرون الاحتجاجات يوم السبت من كل أسبوع لمدة سبعين أسبوعاً، منذ بدايتها يوم السابع عشر من نوفمبر عام 2018 حتى يوم الرابع عشر من شهر مارس عام 2020 قبل إعلان

الحظر يوم السادس عشر بسبب انتشار وباء كورونا، لكن استأنفت الحركة الاحتجاجات بعد فك الحظر، وانطلقت من ميدان واجرام، وميدان دو لا بورس (https://shorturl.at/ekM79) .

وفي هذا السياق، تتضح سمتا التنظيم والاستمرار حيث استمرت الحركة دون انقطاع منذ بدايتها، ولم يوقفها سوى اعلان الحظر خلال انتشار جائحة كورونا، ثم استأنفت أنشطتها بعد فك الحظر، ويتضح الجانب التنظيمي للحركة إذ بدأت الدعوة للحركة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي مع التركيز على ارتداء السترات الصفراء للتعبير عن الانتماء للحركة، ثم بدأت الاحتجاجات والمظاهرات الفعلية بالميادين.

- **قيام حركة السترات الصفراء مستقلة عن النظام السياسي**

قامت حركة السترات الصفراء مستقلة عن النقابات العمالية، والأحزاب السياسية أو أي من التنظيمات السياسية، ولهذا تعد حركة بدون قيادة، تقوم على اللامركزية بين الأعضاء مما يسمح لأي فرد بالانضمام إليها بسهولة (B,F, and others, 2021, pp.3-5).

وقد حاولت بعض الأحزاب السياسية اليمينية واليسارية، والقادة السياسيين – مثل" Marine le pen" و"Jean Luke Melencheon" – تولي قيادة الحركة لكنهم قوبلوا برفض تام من المحتجين، مما يدل على رفض الحركة لكافة الرموز السياسية الموجودة في فرنسا (C., 2018)، وفي هذا السياق، يمكن تفسير قيام حركة السترات الصفراء مستقلة عن النظام السياسي، ورفضها لمشاركة الأحزاب السياسية وقيادتها للحركة بعدم ثقتها في النظام السياسي، كما تعبر الحركة عن سمات الحركات الاجتماعية الجديدة، من حيث تنظيم الحركات من قبل نشطاء من طبقات اجتماعية عدة، وهو الأمر الذي لا يمكن فصله عن سمة استقلال الحركات الاجتماعية الجديدة.

- **حركة السترات الصفراء كحركة جماعية**

تعد حركة السترات الصفراء حركة شعبية جماعية إذ بلغت أعداد المشاركين ما يقرب من 300,000 محتج، (Morozov, petrovskii, Gavrilets, 2019, p.2). وبلغت نسبة الدعم للحركة ما بين 46% و51% خلال 2018 (https://shorturl.at/mnuP5)، وبلغت نسبة المشاركين من العمال والموظفين 63%، بالإضافة إلى بعض الفئات الأخرى مثل المزارعين، الحرفيين، التجار، والفنيين، وهكذا، فقد كانت حركة الطبقة العاملة ضد الفقر وغياب المساواة (https://shorturl.at/gluxF). وبما أن النسبة الأكبر من المشاركين في الحركة كانت من

الطبقات العاملة، فمن الممكن وصفها بأنها حركة شعبية، وهو ما يبرر رفضها للانضمام لأي حزب سياسي، كما تعبر الأعداد الكبيرة المشاركة في الاحتجاجات عن الدعم الواسع الذي لقيته الحركة حتى مع تراجع نسب المشاركة؛ لأن ذلك لا ينفي وجود الدعم الجماهيري، بل يؤكد أن حركة السترات الصفراء حركة جماعية وشعبية.

- **وجود هوية مشتركة بين الأفراد**

اعتمدت حركة السترات الصفراء على الطبقتين العاملة والوسطى – الدنيا التي تقطن الضواحي والمناطق شبه الحضرية والمدن الصغيرة والمناطق الريفية، وقد اتفق الأعضاء على ارتداء السترات الصفراء تعبيراً عن انتمائهم للحركة؛ حيث يربط بينهم تراجع مستوى المعيشة واتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء(Kipfer, 2019, pp. 290 – 231). ويتضح من خلال دراسة حركة السترات الصفراء، أنه لا توجد معايير محددة للانضمام للحركات الاجتماعية، وبالتالي، تتحدد الهوية المشتركة بين الأفراد بناءً على المعاناة من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم فقد ساهمت الحركة في صنع طبقة اجتماعية جديدة وهي الطبقة الوسطى الصغيرة، كما صنع أعضاء الحركة هوية متميزة لهم، تتمثل في ارتداء السترات الصفراء.

- **حركة السترات الصفراء تهدف إلى التغيير السياسي**

ويمكن تقسيم مطالب حركة السترات الصفراء إلى أربعة محاور أساسية، تتمثل في: أولاً: الإصلاح الاقتصادي، ثانياً: الإصلاح السياسي، ثالثاً: السياسة الخارجية، رابعاً: الإصلاح بمجال الصحة والبيئة، وأكد المتظاهرون أن تحقيق هذه المطالب هو الحل الأمثل للأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها فرنسا (Cole, 2020).

وتدور المطالب المتعلقة بالتغيير الاقتصادي حول ما يأتي: أولاً: إلغاء الضرائب المتصاعدة على الوقود ومشتقاته، ثانياً: القضاء على البطالة، ثالثاً: أن يكون الحد الأدنى للرواتب 1300 يورو ويكون الحد الأقصى 15000 يورو شهرياً، وألا تقل المعاشات عن 1200 يورو، رابعاً: أن تتحمل الكيانات الاقتصادية الكبرى مثل – أمازون وجوجل وماكدونالد– الجزء الأكبر من الضرائب، بينما تتحمل المشروعات الصغيرة والمتوسطة نسبة قليلة منها . خامساً: ألا يتخطى الحد الدستوري لمعدلات الضرائب 25% (Devellennes, 2121, pp.151-153).

وتتعلق المطالب السياسية – الداخلية والخارجية– لحركة السترات الصفراء بمطالب، منها: أولاً: خروج فرنسا من الاتحاد الأوروبي حتى تستعيد الدولة سيادتها السياسية والاقتصادية، ثانياً: انسحاب فرنسا من التحالفات العسكرية الدولية، مثل حلف الناتو وكذلك انسحابها العسكري من أفريقيا، ثالثاً: منع تدخل جماعات الضغط والمصالح من التأثير في عملية صنع القرار، رابعاً: إجراء التعديلات الدستورية، خامساً: إنهاء سياسات الخصخصة(Develennes, 2121, pp.151-153)

وتتمثل أهداف حركة السترات الصفراء في التغيير السياسي والاجتماعي، حتى تضيق الفوارق بين الطبقات الاجتماعية، مع الحفاظ على بقاء الطبقتين الوسطى والدنيا من خلال تخفيض الضرائب المتصاعدة وإجراء التعديلات الدستورية من أجل تعديل الحدين الأقصى والأدنى للرواتب ورفع المعاشات بما يتناسب مع تحسين ظروف المعيشة لتلك الطبقات، وكذلك القضاء على البطالة.

- **قيام حركة السترات الصفراء على علاقات وشبكات غير رسمية**

يتضح من خلال دراسة حركة السترات الصفراء أنها قائمة على علاقات غير رسمية، حيث إنها لا تنتمي لأي حزب سياسي، أو جماعة من جماعات الضغط أو المصالح، كما أنه تم الترويج للحركة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر، ولم تعتمد الحركة على قائد بعينه، بل على مجموعة من القادة، ومن ثم اتسم نمط التفاعل داخل الحركة بكونه تلقائياً وغير رسمي.

وبتبين من دراسة سمات الحركات الاجتماعية وحركة السترات الصفراء مدى التطابق بينهما؛ إذ قامت حركة السترات الصفراء خارج النظام السياسي ومؤسساته، ورفضت أن تمثلها الأحزاب السياسية، ومن ثم شكلت تحدياً قوياً لإيمانويل ماكرون، كما اتسمت أنشطتها بالتنظيم والاستمرار حتى في ظل جائحة كورونا، وقد صنعت الحركة هوية مشتركة بين أعضائها متمثلة في ارتداء السترات الصفراء، وقامت على علاقات غير رسمية بين أعضائها بهدف التغيير السياسي والاجتماعي.

3. تصنيف حركة السترات الصفراء ومراحل تطورها

أ- تصنيف حركة السترات الصفراء

ويتبين من دراسة حركة السترات الصفراء أنه يمكن تصنيفها على أنها حركة اجتماعية جديدة إصلاحية الطابع؛ حيث تهدف إلى تحسين الأوضاع المعيشية المتدنية الناتجة عن تدهور الأوضاع

الاقتصادية والاجتماعية لدى الطبقة الوسطى – الدنيا والطبقة الدنيا، ومن ثم يمكن عدها حركة إصلاحية تهدف إلى العدالة والمساواة بين تلك الطبقات وطبقة النخبة والأغنياء.

ومن منطلق أن الحركات الاجتماعية الجديدة تهدف أيضاً إلى صنع هوية مشتركة بين أعضاء الحركة، حققت حركة السترات الصفراء ذلك، حين اتفق أعضاؤها على ارتداء السترات الصفراء للتعبير عن انتمائهم لها، ويعود ذلك إلى إلزام سائقي السيارات في فرنسا بارتداء تلك السترات في أثناء القيادة، وبما أن الضرائب الجديدة التي فرضها إيمانويل ماكرون مرتبطة بأسعار الوقود، فإن الفئة التي تتحملها هي الفئة التي تعتمد على وسائل النقل والسيارات، وتقطن في مناطق جغرافية بعيدة عن مراكز المدن الرئيسة ومناطق العمل .

وإجمالاً، تعد حركة السترات الصفراء حركة اجتماعية جديدة ذات جانب إصلاحي، من حيث موضع التغيير، أي التغيير في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للطبقتين الوسطى والدنيا، أما مدى التغيير فهو تغيير جزئي طال بعض السياسات العامة والخارجية.

ب – مراحل حركة السترات الصفراء

مرت حركة السترات الصفراء بأربع مراحل وهي، الظهور، التبلور، البقرطة الإدارية، والتراجع.

أولا: الظهور

تبدأ تلك المرحلة بظهور مشاعر الغضب والسخط بين المتظاهرين؛ بسبب بعض السياسات العامة، ولكن لم يشرع أي من المتظاهرين بتنظيم الأنشطة الاحتجاجية، أو تحديد الاستراتيجيات

المناسبة لتحقيق أهدافهم، لكن ظهر دور الوسائل الاعلامية في التركيز على الأوضاع السلبية وتأجيج مشاعر الغضب (Imhonopi, 2013, pp.76 – 85). وقد بدت مشاعر الغضب واضحة في فرنسا قبيل ظهور الحركة؛ حيث انتخب الناس إيمانويل ماكرون على أمل تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، ولكن على النقيض من تلك التوقعات، أشار التحليل الاقتصادي للموازنة العامة عام 2018–2019 إلى تدني معدلات أجور الطبقات الفقيرة إلى حد الجمود (https://www.bbc.com/news/world-europe-46437904).

علاوةً على ما سبق، شهدت فرنسا بعض من الاحتجاجات بقطاعات عدة، مثل قطاع السكك الحديدية، والمعلمين والممرضين ضد السياسات العامة التقشفية بالقطاع العام الذي يضم ما يقارب 5.4 مليون فرد. وأشارت استطلاعات الرأي إلى أن 58% من الفرنسيين أكدوا على تحقيق ماكرون

لبرنامجه الانتخابي، بينما أكد 74% منهم أن تلك السياسات غير عادلة (https://shorturl.at/kENW8).

وبناءً على ما تقدم، يتضح أن حركة السترات الصفراء لم تكن وليدة اللحظة، بل كانت لها بدايات قبل أن تتحول إلى احتجاجات ومظاهرات فعلية عام 2018، وتحديداً بعد تصاعد أسعار الغاز والوقود، مما فجر الأزمة وعمق مشاعر الغضب تجاه ماكرون بسبب مخالفته لبرنامجه الانتخابي الذي كان من المفترض أن يعالج الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

ثانياً: التبلور والبقرطة الإدارية

بناءً على الجانب النظري، ترتبط مرحلة التبلور بظهور القادة، وتوطيد العلاقات بين أعضاء الحركات الاجتماعية، بينما تنتقل الحركة خلال مرحلة البقرطة الإدارية غلى مستوى أعلى من التنظيم، بالإضافة إلى ظهور الخبرات المتخصصة. وبخصوص حركة السترات الصفراء، تتداخل هاتان المرحلتان؛ فظهرت خلال مرحلة التبلور الرموز والقادة ونجحوا في حشد أعداد كبيرة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي للمشاركة في المظاهرات والاحتجاجات. ولكن بخصوص مرحلة

البقرطة الإدارية، لم تعتمد الحركة على أي من الخبرات المتخصصة، بل ظهرت مستقلة عن كافة أنماط الوساطة مثل الأحزاب السياسية، النقابات العمالية، أو جماعات الضغط والمصالح. ولكن انتقلت الحركة خلال مرحلة البقرطة الإدارية إلى مستوى أعلى من التنظيم والاستمرار.

وقد دعت "بريسيليا لودوسكي" خلال شهر مايو عام 2018 إلى جمع مجموعة من التوقيعات على عريضة كانت قد نشرتها اعتراضاً على ارتفاع أسعار الغاز والوقود، ثم تم التواصل بينها وبين "ايريك درويه" لنشر العريضة مرة أخرى للحصول على عدد أكبر من التوقيعات حتى يتمكنوا من بدء الاحتجاجات، والتي بدأت بالفعل يوم السابع عشر من نوفمبر لتستمر أيام السبت من كل أسبوع (https://shorturl.at/msyF8) وفي ضوء تلك الخطوات، دعا "غيسلسن كوتارد" إلى ارتداء السترات الصفراء للتعبير عن تأييد الحركة، وقد لاقت تلك الفكرة قبولاً واسعاً، ووهبت للحركة اسمها؛ فكانت حركة السترات الصفراء (https://shorturl.at/ABHJN).

وتأسيساً على الطرح السابق، يتضح أن تبلور حركة السترات الصفراء بدأ مع بداية تنظيمها عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، وتحديداً فيسبوك، حيث انتشرت الصفحات الإلكترونية المعبرة عن الغضب الجماهيري واعتراض الفرنسيين على السياسات العامة، وكذلك مع بداية الاحتجاجات يوم

السابع عشر من نوفمبر، لكن لا يمكن تحديد مرحلة البقرطة الإدارية بالنسبة لحركة السترات الصفراء؛ إذ لم تعتمد الحركة على الأحزاب السياسية أو النقابات، لكنها شهدت مزيداً من التنظيم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والمشاركة في الاحتجاجات.

ثالثاً: التراجع

يرتبط تراجع الحركات الاجتماعية بنجاحها أو قمعها أو فشلها داخلياً نتيجة مركزية السلطة أو فشلها بشكل عام في تحقيق أهدافها(Fylm, 2013, pp.18–19) . وبالنسبة لحركة السترات الصفراء، فقد تراجعت الحركة لفترة نظراً لإعلان الحظر بسبب جائحة كورونا، ثم عاودت أنشطتها الاحتجاجية خلال شهر سبتمبر عام 2020، لكن حاولت أجهزة الشرطة قمع تلك التظاهرات (https://shorturl.at/eivT1).

أما فيما يتعلق بقمع حركة السترات الصفراء، فلم يقف ذلك الأمر حائلاً بين الحركة واستمرارها. فمع مرور ما يقارب ثلاث سنوات من قيام حركة السترات الصفراء، مازال كثير من المتظاهرين داخل السجون، ويعاني آخرون من إصابات مستديمة بسبب استخدام الأسلحة الخطيرة والغازات المسيلة للدموع خلال التعامل مع المتظاهرين (https://shorturl.at/sBX26).

ونظراً للمطالب الاقتصادية للحركة التي يبدو أنها هددت شرعية النظام الحاكم وبدأ قمع النظام الفرنسي لحركة السترات الصفراء بعد اليوم الثالث للاحتجاجات، وهاجم بعض المتظاهرون بعنف المحال والمناطق العامة، ومن هنا سمحت السلطة والأجهزة الأمنية بالتعامل المباشر مع المتظاهرين ومثيري الشغب، مما أدى إلى الهجوم على المتظاهرين واعتقال بعضهم، بجانب استخدام بعض الأسلحة لمواجهة المحتجين وتفريق المظاهرات(Pauline,2021,pp.1–16) .

وإجمالاً، وفي سبيل إخماد الاحتجاجات تبنت الحكومة الفرنسية عبر الأجهزة الشرطية سياسات قمعية، بالإضافة إلى اعتقال بعض رموز الحركة وقادتها، وعلى الرغم من ذلك لم تتراجع الحركة بسبب قمع الأجهزة الشرطية، بل بسبب جائحة كورونا خلال فترة الحظر، ثم انسحاب بعض الرموز الأساسية للحركة فيما بعد.

ويتضح من دراسة حركة السترات الصفراء أن تراجعها فترة من الفترات قد ارتبط بإعلان الحظر نتيجة جائحة كورونا، أما عن استخدام أساليب القمع، فلا يبدو أنها أسهمت بشكل كبير في

القضاء على الحركة؛ حيث إنها مازالت موجودة حتى الآن حتى وإن قل المشاركون في التظاهرات أو المؤيدون لها.

ويتضح مما سبق، أنه عند تطبيق مراحل الحركات الاجتماعية على حركة السترات الصفراء، يمكن أن يظهر القادة خلال مرحلة التبلور، بينما تميز مشاعر الغضب والسخط العام مرحلة الظهور، وقد تتداخل بعض المراحل مثل مرحلتي التبلور والبقرطة الإدارية نظراً لغياب الخبرات المتخصصة، ولكن تبدأ الحركة بتنظيم الانشطة الاحتجاجية والمظاهرات على درجة من الاستمرار.

خلال مرحلة التبلور وتعمل على اكتساب الدعم الجماهيري، ولتكتسب الثقة والتوازن والقبول خلال مرحلة البقرطة الإدارية، ولذلك تتكامل هاتان المرحلتان، ثم تنتهي الحركة إلى مرحلة التراجع أمام القمع، أو بسبب الظروف الطارئة مثل الأوبئة العالمية أو الحروب، ولكن لم تضعف حركة السترات الصفراء أمام القمع، بل تمكنت من استعادة توازنها بعد فترة الحظر بسبب وباء كورونا لتستأنف أنشطتها مرة أخرى. وقد تكتسب الحركة في حالة نجاحها مزيداً من الثقة لتحقيق أهداف جديدة، ولذلك يكمن الخطر الحقيقي على الحركة في فقدانها للتماسك الداخلي، أو انسحاب الرموز والقادة المؤثرين بها.

4. عوامل قيام حركة السترات الصفراء الفرنسية

يمكن تفسير حركة السترات الصفراء من خلال النظريات والمداخل التفسيرية التي عرضنا لها خلال الإطار النظري، وتتمثل تلك النظريات في أولا: نظرية الحرمان النسبي، ثانياً: نظرية الفرصة السياسية، وثالثاً: نظرية الضغوط البنائية.

أولاً: نظرية الحرمان النسبي

تظهر الحركات الاجتماعية والسياسية في الدول الحديثة نتيجة معاناة الأفراد من ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن عدم العدالة والمساواة، مما يدفعهم إلى صياغة مطالب وأهداف محددة يسعون إلى تحقيقها من خلال المشاركة في الحركات الاجتماعية (جونستون،2018، ص49).

ويكمن العامل الأساسي في قيام الحركة في إدراك الأفراد للحرمان النسبي من حيث توزيع الثروات، خاصةً مع فرض الضرائب جديدة على الوقود لن تتحملها سوى الطبقة الوسطى– الدنيا والطبقة العاملة التي تضطر إلى قيادة سياراتها لمسافات طويلة يومياً أثناء الذهاب إلى العمل، ومن

ثم تأكَّد لدى أبناء تلك الطبقات أنهم غير مستفيدين من التنمية الاقتصادية وأن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون هو رئيس الأغنياء فقط دون الفقراء (Schultziner,2020,pp.535).

وتتضح الصلة بين حركة السترات الصفراء ونظرية الحرمان النسبي، من خلال التركيز على تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تتمثل في غياب العدالة الاقتصادية، من حيث اتساع الفجوة بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء؛ حيث ازداد معدل دخول طبقة الأغنياء للضِعف بين عامي 1983 و2015، على الرغم من أنهم لا يشكلون إلا 1% فقط من المجتمع، بينما ازداد دخل طبقة الفقراء بمعدل الرُبع فقط، كما ارتفعت الضرائب بما يزيد على 45% من إجمالي الناتج القومي لعام 2019، إذ تم فرض ثمانية أنواع جديدة من الضرائب خلال العام الأول من حُكم إيمانويل ماكرون، ولم تُوزَّع تلك الضرائب بالمساواة بين الأغنياء والفقراء (Jetten, Mols,Selvanathan,2020,p.2).

وأدت السياسات العامة إلى تدهور أوضاع الطبقة الوسطى– الدنيا والطبقة الدنيا؛ إذ بلغ معدل الفقر عام 2015 ما يساوي 14.2 % من المواطنين، أي 8.9 مليون نسمة، مما أدى إلى تدهور الطبقة الوسطى؛ لأنها لم تستطع مواكبة مستويات المعيشة، وعلى الرغم من أن معدلات الفقر خلال ذلك العام تعد ثابتة، فإن هناك توقعات بنسبة 88 % بمزيد من التدهور خلال السنوات الخمس القادمة خاصةً أن 40% من السكان يعانون من الفقر، أي عدم قدرة الأفراد على الحفاظ على مستوى المعيشة نفسه الذي اعتادوا عليه (Blagojević,2021,pp.26–35).

وازدادت معدلات الفقر بالفعل؛ إذ وصلت إلى 14 % عام 2016، وتصاعدَّ إلى 14.8% عام 2018 . كما ارتفع معدل التضخم عام 2018 إلى 1.8% مقارنةً بعام 2017 وبلغ معدل التضخم 1 % فقط، بينما بلغ الناتج المحلي القومي عام 2018 1.81% وتراجع إلى 2.42% عام 2017 ثم إلى 1.49% عام 2019(https://shorturl.at/dpKSW).

إضافةً إلى ما سبق، يتضح من الناتج المحلي في فرنسا لعام 2017 أن 47.7% من الدخول هو من الضرائب، مما يدل على أن فرنسا من أعلى الدول من حيث العبء الضريبي بحجة الإنفاق على الخدمات العامة، كما أن أسعار الغاز والوقود في زيادة منذ عام 2007 وازدادت عام 2018 إلى 1.8 يورو لكل لتر (Jehan,2018,pp.101–103).

وبخصوص إنفاق الحكومة الفرنسية للضرائب على الخدمات العامة، فإن تلك الحجة واهية، ذلك أن أحد أهم عوامل ظهور حركة السترات الصفراء هو تعطيل الخدمات العامة، خاصةً في المناطق

الريفية وشبه العمرانية، ولكن تلك الضرائب لم تسهم إلا في زيادة الأعباء الاقتصادية على الطبقتين الوسطى والدنيا، وكذلك حرمانهم من الخدمات التي يتحملون هم نفقاتها، حيث إن تلك الطبقات هي التي تسكن المناطق الريفية والمناطق شبه العمرانية التي ألغيت بها الخدمات، مما ترتب عليه، ظهور حركة السترات الصفراء من تلك المناطق ومن بين تلك الطبقات (Jehan,2018,pp.101-103). ولا يمكن إغفال أن سياسات ماكرون الليبرالية قد أدت إلى ثبات الدخول لتلك الطبقات في حين أنها منحت امتيازات جديدة للأغنياء والنخبة (B,2019,The World Research Center, pp.6-9).

ويتبين من دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في فرنسا مدى التوافق بين نظرية الحرمان النسبي وقيام حركة السترات الصفراء؛ حيث أدى تراجع معدل الناتج المحلي القومي، ارتفاع الضرائب، وتدني الأجور إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية، والتي أثرت بدورها سلباً في أوضاعهم الاجتماعية؛ حيث لم تتمكن الطبقات المعنية من مواكبة الأسعار المتصاعدة أو الاستفادة من التنمية الاقتصادية، كما اتسعت الفجوة بين طبقة النخبة وبقية الطبقات الاجتماعية، وهو الأمر الذي يشكل تهديداً للأجيال المستقبلية من تلك الطبقات.

علاوةً على ما سبق، وبما أن نظرية الحرمان النسبي تقوم على اعتقاد الأفراد في جدوى الاعتماد على تنظيم الحركات الاحتجاجية وتحقيق التغيير، قامت الطبقتان الوسطى والدنيا بتنظيم حركة السترات الصفراء، في ظل الشعور بالحرمان النسبي وعدم الرضا عند مقارنة أوضاعهم بأوضاع النخبة؛ إذ عانت الأولى من السياسات الاقتصادية العامة قبل تولي إيمانويل ماكرون الحكم، لكن ازدادت الأوضاع سوءاً مع توليه الحكم عام 2016 نتيجة الضرائب الجديدة التي فرضها وتحملتها الطبقات الدنيا فقط، بينما حصل النخبة والأغنياء على منافع ومكاسب اقتصادية جديدة.

ثانياً: نظرية الفرص السياسية

تقوم نظرية "الفرصة السياسية" على مجموعة من الأبعاد التي تحدد مدى إمكان تنظيم الحركات الاجتماعية، وتتمثل تلك الأبعاد في الآتي: أولاً: انفتاح – أو انغلاق – النظام السياسي، ثانياً: عدم استقرار التحالفات بين النخبة، ثالثاً: وجود الدعم الكافي للحركات الاجتماعية من النخبة، رابعاً: مستوى قمع الدولة للحركات الاجتماعية (McAdam, 1996, p.27) .

وعلى الرغم من ذلك، شكلت تلك العوامل كلها عائقاً أمام حركة السترات الصفراء؛ أغلقت المؤسسات، وتحالفت جماعات النخبة، كما كان مستوى القمع مرتفعاً بالنسبة للمحتجين، وعلى الرغم

من حديث النقابات التجارية، والقادة السياسيين، ووسائل الإعلام المختلفة عن إمكانية تحقيق "التوافق" من أجل حل تلك الأزمات، إلا أن الأمر لم يتخط التفكير والتمني (Quentin,2021,p.5).

ونُظمت حركة السترات الصفراء على الرغم من عدم توفر الأبعاد الأساسية لبنية الفرصة السياسية، وتمكنت من حشد أعداد كبيرة من المواطنين من المناطق الريفية والنائية في فرنسا، ومن ثم فإن حركة السترات الصفراء لم تعتمد على الفرص السياسية، لكنها صنعت تلك الفرص وكسرت القيود، إضافةً لذلك، لا يمكن الاعتماد على نظرية "حشد الموارد" لتفسير قيام الحركة؛ إذ لم تعتمد الحركة على منظمة معينة، ولا تملك الدعم المالي أو الروابط الاجتماعية من أجل تنظيم الحركة (Quentin,2021,p.5).

وفي ضوء التطرق إلى دعم حركة السترات الصفراء، لا يمكن إنكار الدعم الذي لقيته الحركة من الاتحادات العمالية والتجارية، والأحزاب السياسية والطبقة الوسطى، لكن ذلك لا يمثل انفتاح النظام السياسي؛ إذ يجب أن تلقى الحركة الدعم الكافي من النخبة أو الطبقات المهيمنة حتى تقوم، لكن في تلك الحالة نُظمت الحركة أولاً ثم حصلت على الدعم من المجتمع المدني والطبقتين الوسطى – الدنيا والطبقة الدنيا.

ثالثاً: نظرية الضغوط البنائية

ترتبط تلك النظرية بتوفر ستة شروط أساسية لتنظيم حركة السترات الصفراء، نتناولها فيما يلي:

أ- **البواعث البنائية:** وهي ترتبط بندرة قنوات ووسائل التعبير، والوسائل الاتصالية التي تسهم في نشر أفكار الحركة. وفي هذا السياق، قامت حركة السترات الصفراء؛ لمعاناة الطبقة الوسطى – الدنيا والطبقة الدنيا مقارنةً بطبقة الأغنياء أو النخبة، وقد بدأت الحركة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال نشر عرائض تعبر عن السخط العام ضد السياسات الحكومية الاقتصادية، ثم انتقلت الحركة إلى الميادين والأماكن العامة للتظاهر، وأخيراً، أسهمت تلك المنصات الإلكترونية في نشر أفكار الحركة ومطالبها وأنشطتها الاحتجاجية، بل وقمع الأجهزة الشرطية لها أيضاً.

ب- **التوترات البنائية:** ويرتبط ذلك البعد بالظروف الاقتصادية والسياسية التي ولدت الضغط والتوتر مما أدى في النهاية إلى ظهور الحركة، وتتمثل الضغوط الاقتصادية في رفع أسعار الغاز

والوقود، مما أدى إلى تحميل الطبقتين الوسطى والدنيا بمزيد من الضرائب، بينما ألغت ضرائب أخرى كانت مفروضة على طبقة الأغنياء، بالإضافة إلى تدني معدلات الأجور والمعاشات وتعطيل بعض الخدمات العامة في المناطق الريفية. شكلت تلك العوامل مجتمعة ضغطاً اقتصادياً على تلك الطبقات التي تبذل قصارى جهدها حتى تفي بالاحتياجات الأساسية شهرياً. وفي السياق ذاته، تمثلت الضغوط السياسية، في فقدان الثقة في النظام السياسي ومؤسساته، وشعور المتظاهرين بتهميشهم عن المشاركة في عملية صنع القرار. ولذلك، رفض أعضاء الحركة الانضمام إلى أي حزب سياسي، أو أن يتولى أي من الرموز السياسية قيادة الحركة، كما طالبوا بتطبيق الديمقراطية المباشرة من خلال استحداث مبادرة التصويت التي تفضي إلى إجراء استفتاءات عامة، في حالة عدم الاتفاق داخل البرلمان على تمرير قرارات أو سياسات معينة.

ج- **انتشار أيديولوجيا الحركة:** انقسم المواطنون في فرنسا إلى مجموعتين؛ حيث أيد بعضهم الحركة ومطالبها، بل وانضموا إليها، بينما أيد آخرون الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، ونظموا حركات اجتماعية مضادة مؤيدة له. والجدير بالذكر، أنه توجد فئة لا تعارض الحركة لكنها تعارض أنشطتها التخريبية التي تعطل الحياة اليومية والمصالح العامة للمواطنين.

د- **دور العوامل المعجلة:** لا ترتبط العوامل المعجلة في حالة حركة السترات الصفراء بنجاح حركات أخرى مشابهة؛ إذ أدت الحركة نفسها إلى ظهور حركات اجتماعية أخرى مشابهة في فرنسا وفي دول أخرى، لكن يمكن أن يكون العامل المعجل لاستمرار الحركة وتحقيقها لبعض النجاح، الدعم الواسع الذي لقيته من الأحزاب السياسية، والنقابات العمالية والتجارية، بل ودعم بعض الدول الخارجية لها أيضاً، مما أدى إلى زيادة جماهيرية الحركة.

هـ- **التعبئة للحركة:** تم الحشد لحركة السترات الصفراء من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، ومن ثم فإن تلك المواقع لا تظهر المشاركة الفعلية للأفراد، كما أن الحركة لا تقوم على وجود قيادة رسمية، بل تتبنى القيادة الأفقية والمشاركة في صنع القرارات المتعلقة بالحركة، ولكن ذلك لا ينفي ارتفاع نسبة المشاركة في حركة السترات الصفراء خلال الاحتجاجات الأولى، وحتى إن قلت تلك الأعداد فيما بعد فإن ذلك لا ينفي التأييد الجماهيري للحركة.

و- **الضبط الاجتماعي:** ويرتبط ذلك البعد بطرف آخر، هو الحكومة، وكيفية تعاملها مع الحركة، وقد عقد ماكرون مناظرة عامة ليستمع فيها إلى جميع مطالب المتظاهرين في محاولة منه لتهدئة الأوضاع واحتواء الحركة، لكن من ناحية أخرى، استخدمت الأجهزة الشرطية العنف والأسلحة لقمع الحركة مما أدى إلى كثير من الإصابات البالغة، كما وقعت العديد من حالات الاعتقال والمحاكمات.

ويتجلى من دراسة النظريات التفسيرية للحركات الاجتماعية عامةً – وحركة السترات الصفراء خاصة أنه من الممكن تطبيق نظرية "الحرمان النسبي " أو نظرية "الضغوط البنائية" لتفسير قيام حركة السترات الصفراء، ويمكن كذلك تطبيق نظرية "الفرص السياسية" جزئياً على الحركة؛ فقد قامت حركة السترات الصفراء حين أحس أبناء الطبقة الوسطى – الدنيا والطبقة الدنيا بتدني أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية مقارنةً بالنخبة وطبقة الأغنياء، وهو الأمر الذي دفعهم إلى التغلب على أزمة ندرة الموارد المتاحة لتنظيم الحركة من خلال استغلال مواقع التواصل الاجتماعي لحشد الناس من مختلف المناطق الجغرافية وتنظيم مشاركتها، كما ساعدت البيئة السياسية في فرنسا من خلال طبيعة النظام السياسي الذي يسمح بتنظيم الحركات الاجتماعية، بينما شكلت الأوضاع السياسية عائقاً في أحيان أخرى بسبب قمع حركة السترات الصفراء بالقوة والتحالف بين النظام السياسي والنخبة.

5. دور حركة السترات الصفراء في التغيير السياسي

بناءً على تصنيف التغيير السياسي إلى أولا: التغيير بالسياسات العامة، ثانياً: التغيير المؤسسي، ثالثاً: التغيير السياسي غير المؤسسي، نعرض فيما يلي التغيير السياسي لذي حققته حركة السترات الصفراء على تلك المستويات.

أولا: دور حركة السترات الصفراء في التغيير بالسياسات العامة

نظم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حواراً مجتمعياً للطبقات الاجتماعية كافة منذ منتصف ديسمبر 2018 وحتى منتصف مارس 2019، وحددت الحكومة أربع قضايا أساسية له، هي: أولاً: الانتقال البيئي، ثانياً: الضرائب، ثالثا: الديمقراطية والمواطنة، رابعاً: الخدمات العامة. ونظمت مناظرات لمناقشة ذلك على مراحل، تمثلت في، أولاً: الحوار بين المواطنين والعمد، ثانياً: تنظيم مناظرات محلية من خلال الحكومات المحلية والمواطنين، ثالثاً: مشاركة الجمعيات العامة والنقابات المختلفة في الحوار

الوطني، رابعاً: تنظيم بعض الاجتماعات والمناظرات بين مجموعة من المواطنين الذين اختيروا عشوائياً (Blagojević,2021,pp.26-35) .

وبناءً على تلك الاجتماعات أقر مجموعة من السياسات العامة، منها، تخفيض الضرائب للعمال والطبقة الوسطى بما يعادل خمسة بلايين يورو، وإعادة تفعيل الضرائب المفروضة على ثروات الأغنياء وممتلكاتهم، وتحسين مستوى الخدمات العامة (https://shorturl.at/nLOY8)، من خلال منع إغلاق المدارس والمستشفيات بالمناطق الريفية بهدف إتاحة تلك الخدمات في المناطق البعيدة عن العاصمة، وبهدف توطيد حكومة لا مركزية (https://shorturl.at/qwDQ3).

علاوةً على ما سبق، انتهج الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون سياسات عامة أخرى، أهمها إلغاء الضرائب على معاشات المتقاعدين وزيادة المنافع والامتيازات لذوي الحالات الخاصة، وكذلك تخفيض الضرائب بما يعادل 17 بليون يورو (https://shorturl.at/iloxR)، كما أكَّد تخفيض الضرائب على الأجور بما يعادل خمسة بلايين يورو، مع العمل على توطيد حكومة قائمة على اللامركزية وتوسيع نطاق التمثيل السياسي النسبي وتسهيل قواعد إجراء الاستفتاءات العامة (https://shorturl.at/tvNU0).

كما أجل ماكرون قرار تصعيد الضرائب على أسعار الوقود والديزل، وأقر رفع الحد الأدنى للأجور بما يساوي مائة يورو شهرياً (Kempin, Tokarski, 2019). ومع بداية عام 2020، أعلنت الحكومة عن مسودة الموازنة العامة التي احتوت على تخفيض الضرائب بما يعادل 9.5 بليون يورو للأسر الفرنسية. (https://shorturl.at/bkqV3).

أما خلال أزمة كورونا، فكانت فرنسا من أكثر الدول الأوروبية تضرراً خلال الجائحة؛ إذ انخفض الأداء الاقتصادي إلى 13.8%، وكان من المتوقع أن ترتفع نسبة البطالة إلى 11.5%، وترتيباً على ذلك، اتخذت الحكومة بعض السياسات العامة اللازمة لتخفيف حدة الأضرار الاقتصادية والاجتماعية، مثل تمويل القطاع التجاري بما يعادل 463 بليون يورو، مساندة قطاع الصناعات الاستراتيجية من خلال المنح التجارية، والجدير بالذكر أن تلك الإجراءات سيمولها الاتحاد الأوروبي، لا من خلال تصعيد الضرائب مرة أخرى، مما يعكس تراجع ماكرون عن السياسات الاقتصادية التي شكلت السياسيات العامة منذ توليه نظام الحكم (Kempin, Tokarski, 2019,pp.2-4).

وجاءت استجابة ماكرون لحركة السترات الصفراء إذاً سريعة، سواء من خلال الحوار المجتمعي الشامل على مستويات عدة أو من خلال السياسات الفورية التي اتخذها بهدف تهدئة السخط العام ضد حكومته، وكان الحد من زيادة الضرائب وتوفير الخدمات العامة بالمدن والقرى البعيدة عن العاصمة على رأس تلك السياسات، لكونهما ضمن المطالب الأولى للحركة. وقد عكست السياسات العامة خلال جائحة كورونا حرص ماكرون على احتواء حركة السترات الصفراء لامتصاص الغضب الشعبي.

وعلى الرغم من نجاح الحركة في تحقيق بعض الأهداف المتعلقة بتخفيض الضرائب وتعديل الأجور والمعاشات، فإنها فشلت في تحقيق أهدافها المتعلقة بالسياسة الخارجية، التي تتمثل في خروج فرنسا من الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو، وكذلك الانسحاب العسكري من أفريقيا؛ إذ يرى أعضاء حركة السترات الصفراء أن عضوية فرنسا في الاتحاد الأوروبي هي العامل الأساسي في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بفرنسا.

ثانيا: التغيير السياسي المؤسسي

يتمثل التغيير السياسي المؤسسي لحركة السترات الصفراء في أربعة أبعاد، أولاً: التأثير في حزب ماكرون السياسي، ثانياً: إغلاق الأكاديمية الوطنية للإدارة، ثالثاً: التأثير في أطر عمل المؤسسات السياسية، رابعاً: التأثير في البرامج الانتخابية لمرشحي الانتخابات الرئاسية لعام 2022.

- **التأثير في حزب ماكرون السياسي (حزب الجمهورية إلى الأمام)**

أثرت حركة السترات الصفراء في مخطط إيمانويل ماكرون لبناء كتلة متعددة الأحزاب تحت قيادة حزبه السياسي، كان من شأنها تعزيز العلاقات بين نظام الحكم والنخبة؛ إذ يستمد الأول وجوده من الأخير من خلال توطيد نظام سلطوي نيو ليبرالي، مما يدل على أن الحركة شكلت تحدياً لشرعية نظام ماكرون السياسي بشكل خاص، ولسياسة الاتحاد الأوروبي التقشفية بشكل عام؛ إذ أدت تلك السياسات إلى جمود مستويات المعيشة، وغياب العدالة الاجتماعية والاقتصادية (Kipfer, 2019, pp. 209-231).

- **إغلاق الأكاديمية الوطنية للإدارة**

قرر ماكرون تغيير الأكاديمية الوطنية للإدارة بمؤسسة الخدمة العامة، حيث مثلت الأولى رمزاً للنخبة فقط نظراً لشروط التأهيل والالتحاق بها، ولذلك قرر ماكرون أن تكون مؤسسة الخدمة

العامة منفتحة على كافة الطبقات من خلال تعديل شروط الالتحاق بها، بالإضافة إلى تعديل المنهاج الدراسية بها لتتواكب مع التحديات المعاصرة (https://shorturl.at/lzK89)، وتهدف المؤسسة الجديدة إلى بناء مجتمع قائم على الفرص المتساوية والكفاءة، كما تهتم بالقضايا المعاصرة مثل العلمانية، الفقر، والبيئة (https://shorturl.at/adrHY :).

- **التأثير في أطر عمل المؤسسات السياسية**

تهدف "مبادرة المواطنين لإجراء الاستفتاءات"، إلى تطبيق الديمقراطية المباشرة من خلال إجراء الاستفتاء إجبارياً في حال زادت نسبة المعارضة لأي من السياسات العامة ليتمكن المواطنون من المشاركة في عملية صنع القرار (https://shorturl.at/fBCR7).

- **التأثير في البرامج الانتخابية لمرشحي الانتخابات الرئاسية لعام 2022**

قام برنامج ماكرون الانتخابي على تخفيض الضرائب، وتطوير قوانين الاستثمار ليشمل المجال الحربي، ومجالات الطاقة والتقنية الحديثة، بالإضافة إلى تعديل قوانين المعاشات ليبدأ سن التقاعد من خمسة وستين عاماً بدلاً من اثنين وستين، كما تقدم بمشروع برنامج موحد يضم قضايا البطالة، والإسكان ورعاية الطفل ليعمل على حل أزمات ما يقرب من عشرين مليون مواطن فرنسي، وأكد على مراعاة برنامجه الانتخابي للأزمات غير المتوقعة التي واجهتها فرنسا خلال السنوات الخمس الماضية، مثل حركة السترات الصفراء، وجائحة كورونا، والحرب الروسية – الأوكرانية (https://shorturl.at/yJ234).

وعلى الجانب الآخر، تقدمت لوبن بمشروعات تتعلق بإعفاء الشباب دون الثلاثين عاماً من ضريبة الدخل، وإعادة فرض الضرائب على ثروة الأغنياء، وزيادة الرواتب بنسبة 10% وأكدت على السيطرة على الحدود الفرنسية، وتمييز المواطنين الفرنسيين ومنحهم بعض الامتيازات، مما يشكل تحدياً لقوانين الاتحاد الأوروبي (https://t.ly/5C24H).

تعكس أوجه التغيير السياسي السابق طرحها أسباب غضب حركة السترات الصفراء من النظام السياسي، وتتمثل في محاولة ماكرون السيطرة على كتلة من الأحزاب السياسية، مما أفقد الحركة ثقتها في الأحزاب السياسية، كما تنم مبادرة المواطنين لإجراء الاستفتاءات عن عدم ثقة الحركة في المؤسسات السياسية بسبب عدم اهتمامها بمصالح الطبقات الدنيا ولكن لم يتم تفعيل المبادرة حتى الآن، كما لم تفرض أية ضرائب على الكيانات الاقتصادية الكبرى – مثل أمازون أو جوجل، بل نجد

أن معدلات الفقر والتضخم والبطالة في زيادة، مما يدل على أن الحكومة لم تتخذ سوى إجراءات صورية لمحاولة احتواء الحركة.

وتدل برامج المرشحين الرئاسية على الأثر الممتد لحركة السترات الصفراء إذ اتفق المرشحان على خفض الضرائب، وزيادة الرواتب، وتعديل قوانين المعاشات، كما أن تصريح ماكرون بمراعاة برنامجه الانتخابي للأزمات الطارئة مثل حركة السترات الصفراء، إنما يدل على أن الحركة قد أصبحت الحركة على رأس برنامجه، وهذا نجاح قوي للحركة لا يمكن إغفاله.

ثالثاً: التغيير السياسي غير المؤسسي

يتمثل التغيير السياسي غير المؤسسي في أربعة جوانب، أولاً: ظهور حركات اجتماعية مضادة وأخرى مشابهة، ثانياً: التركيز على بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ثالثاً: تشكل هوية جديدة لأعضاء حركة السترات الصفراء، رابعاً: قمع حركة السترات الصفراء بالقوة.

- **ظهور حركات اجتماعية مضادة وأخرى مشابهة**

ظهرت حركتا السترات الزرقاء والأوشحة الحمراء كحركات اجتماعية مضادة لحركة السترات الصفراء، منادين بوقف الاحتجاجات وأحداث العنف والشغب. وبدأت حركة السترات الزرقاء بجهود "Laurent Segness" على تويتر اعتراضاً على سد الطرق، وعدم احترام حركة السترات الصفراء لحرية الرأي والمعارضين لها (https://shorturl.at/uDRY0). ويؤكد منظمو حركة الأوشحة الحمراء أنها بلا أجندات سياسية، وأن العامل الرئيس وراء الحركة هو التصدي لحركة السترات الصفراء، وما تتسبب فيه أزمات صعبة للشعب الفرنسي، بالإضافة إلى رفضهم لأعمال العنف المتبادلة بين القوات الأمنية والمتظاهرين، وكذلك الهجوم على المنشآت الأثرية والمناطق الحيوية (https://shorturl.at/avxEU).

وقد نظم حركة الأوشحة الحمراء "جون كريستوف John Christophe" عبر فيسبوك؛ لتنطلق المسيرة الأولى من ميدان الأمة حتى ميدان باستيل، وتضم الحركة أعضاء من مستويات اقتصادية عدة، لكنهم من مراحل عمرية أكبر مقارنةً بأعضاء حركة السترات الصفراء، كما أن بعضهم مؤيدون لسياسات ماكرون الاقتصادية الإصلاحية، أما بخصوص أهداف الحركة فإنها لا تتعارض مع مطالب حركة السترات الصفراء لكنها تعترض على العنف الجسدي واللفظي، والاضطراب العام

للحياة اليومية، ويفضلون المشاركة في الحوار الوطني العام الذي دعا له ماكرون (https://shorturl.at/yMW03).

وظهرت حركة السترات السوداء خلال شهر يونيو عام 2019؛ إذ نظمتها مجموعة من المهاجرين غير النظاميين نظراً لظروفهم المعيشية التي تتضمن العمالة غير المستقرة، والتشرد، وتدني الظروف السكنية وقمع الأجهزة الشرطية (https://shorturl.at/dsZ58). وقد سميت الحركة باسم حركة "السترات السوداء" في إشارة إلى حركة السترات الصفراء، وقد طالبت تلك الحركة بحوار مع رئيس الوزراء " Edward Philip " حول أوضاعهم في فرنسا كمهاجرين (https://shorturl.at/klnHS).

- **التركيز على بعض القضايا السياسية والاجتماعية**

سلطت حركة السترات الصفراء الضوء على العدالة الاجتماعية والضرائب المتصاعدة وعلى ظهور طبقات جديدة نتيجة تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم سعت تلك الحركة إلى أن يشارك أعضاؤها في عملية صنع القرار (https://shorturl.at/FQZ02)، كما أشارت الحركة إلى أزمة الديمقراطية التمثيلية، وغياب الثقة بين وسائل الإعلام والنظام السياسي من ناحية والشعب الفرنسي من ناحية أخرى (Chamorel,2019,pp.48-52). بالإضافة إلى طرح أزمة غياب الخدمات العامة بالمدن البعيدة عن العاصمة؛ فكما سبق أن أشارت الدراسة، تعتمد فرنسا بشكل كبير على الضرائب كأحد مصادر الدخول للدولة لتوفير دولة الرفاهية، وتتحمل تلك الضرائب الطبقات الاجتماعية التي تسكن المناطق الريفية وشبه الحضرية البعيدة عن المدن الرئيسة والعاصمة، لكنها لا تستفيد من الخدمات العامة التي من المفترض أن توفرها لهم الضرائب التي يتحملونها، بل من الممكن أن تستفيد طبقات أخرى لا تتحمل القدر نفس من الضرائب.

- **تشكل هوية جديدة لأعضاء حركة السترات الصفراء**

تميزت حركة السترات الصفراء ببناء هوية طبقية رمزية مشتركة لأعضائها، فعلى الصعيد الطبقي تبنت الحركة مطالب الطبقة الوسطى الصغيرة التي نظمتها ارتباطاً بتدني الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، أما بالنسبة للرمز فقد تميز أعضاء الحركة من خلال استخدام السترات الصفراء للتعبير عن الانتماء للحركة. ومن ثم شكلت الطبقة الوسطى الصغيرة كياناً واحداً ضد النظام السياسي ومؤسساته.

- **قمع حركة السترات الصفراء بالقوة**

أفرزت حركة السترات الصفراء أحداث شغب وعنف متبادلة بين المتظاهرين والأجهزة الأمنية، ومن ثم سلطت حركة السترات الصفراء الضوء على انتهاك الأجهزة الشرطية لحقوق المواطنين في التظاهر. فقد أسفرت الاحتجاجات حتى الآن عن إصابة 4190 فرداً بإصابات متنوعة بسبب استخدام القنابل اليدوية، والأعيرة المطاطية، وغيرها من الأسلحة، وذلك بالإضافة إلى اعتقال 8700 متظاهر (Adam,Celebie, Mahfud, 2020, pp.1171- 1186).

وفي ضوء ما تقدم، ظهر مصطلح "عنف الاجهزة الشرطية"، الذي يشير إلى استخدام الأجهزة الأمنية للعنف من أجل السيطرة على الاحتجاجات وقمع المتظاهرين، مما الحق إصابات بالغة ومستديمة بالمتظاهرين، وقد تلجا الأجهزة الامنية إلى تلك الأساليب لمنع الحركات الاجتماعية من التطور إلى حركات عنيفة أو للسيطرة على العناصر المتطرفة التي قد تستغل الحركة لتحقيق أهداف خاصة (Adam,Celebie, Mahfud, 2020, pp.1171- 1186) .

ويتضح من خلال دراسة التغيير غير المؤسسي لحركة السترات الصفراء يتمثل في ظهور حركات اجتماعية مضادة غير متعارضة مع حركة السترات الصفراء من حيث الأهداف، ولكنها تحتج على اضطراب الحياة اليومية للمواطنين وعلى أعمال التخريب بالمنشآت العامة والمناطق الاثرية، كما نجحت الحركة في التركيز على القضايا الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية الهامة التي تسببت في اندلاع حركة السترات الصفراء وغيرها من الحركات المشابهة، ولفتت الانظار إلى قمع النظام السياسي لتلك الحركات ولو بالعنف، واخيراً، يعد خلق هوية مشتركة بين أعضاء الحركة من أبرز جوانب التغيير، حيث نجحت الحركة في توطيد هوية مشتركة بين أعضاء الحركة من خلال ظهور الطبقة الوسطى الصغيرة، وتمييزها بالسترات الصفراء للتعبير عن الانتماء للحركة.

وتأسيساً على ما تقدم، يتضح أن حركة السترات الصفراء قد نجحت في تحقيق التغيير السياسي جزئياً، فعلى الرغم من نجاحها في تحقيق بعض من أهدافها المتعلقة بخفض الضرائب، فشلت في تحقيق بعض الأهداف الأخرى خاصة على مستوى السياسة الفرنسية الخارجية.

6. محددات فعالية دور حركة السترات الصفراء في التغيير السياسي في فرنسا

ينصب ذلك الجزء على دراسة المحددات الداخلية والخارجية لفعالية دور حركة السترات الصفراء في تحقيق التغيير السياسي في فرنسا.

أولاً: المحددات الداخلية

أ- القيادة:

أسهمت القيادة غير الرسمية عبر مواقع التواصل الاجتماعي في توزيع مهمة قيادة حركة السترات الصفراء بين رموز الحركة وبقية المشاركين، مما أدى إلى فاعلية العلاقات والتفاعلات داخل الحركة، كما أسهم دور القادة ورموز الحركة في استمرارها لفترة طويلة (Hamalainen, 2020,pp.32-33)، كما أفضى نمط القيادة الأفقي إلى سهولة تبادل المعلومات بين أعضاء الحركة (Blagojević,2011,pp.26-29).

ومن منظور آخر، أكد كاموريل فشل حركة السترات الصفراء في بناء قيادة فعالة وثابتة، مما أدى إلى غياب الأهداف المشتركة، ومن ثم سيطر المتطرفون من أعضاء الحركة عليها، واستغلوها لتنفيذ الأنشطة التخريبية والعنيفة (Chamorel,2019, PP.48-62).

ويتضح من دراسة حركة السترات الصفراء ونمط القيادة داخلها أن القيادة أسهمت جزئياً في نجاح الحركة؛ حيث كان نمط القيادة الأفقية سلاحاً ذا حدين؛ لأنه – من ناحية – أسهم في سرعة تبادل المعلومات حول الحركة وأنشطتها وتطورها، وأيضاً في تحديد مطالب محددة ومرضية للأعضاء جميعاً، كما وطد المشاركة في صنع القرار، لكن غياب قيادة رسمية وثابتة للحركة أدى إلى استغلال المتطرفين من أعضائها لها وإلى الانقسامات الداخلية، كما أنه لم يكن ثمة من يمثل الحركة خلال الاجتماعات والمناظرات الرسمية التي أجراها ماكرون، فكان على بريسيليا لودوسكي وإيريك درويه أن يمثلاها خلال تلك الاجتماعات بصفتهما أول من دعا إلى حركة السترات الصفراء.

ب- استراتيجيات حركة السترات الصفراء

بدأت حركة السترات الصفراء من خلال دعوات مبدئية على مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر، ثم تطورت إلى احتجاجات ومظاهرات بالشوارع والميادين، بالإضافة إلى مسيرات أسبوعية يوم السبت من كل أسبوع.

وقع خمسة وثمانون ألف شخص على عريضة رفض رفع أسعار الوقود التي تم الإعلان عنها على موقع Change.org، وقد لعبت مواقع التواصل الاجتماعي دوراً بارزاً في تنظيم حركة

السترات الصفراء، إذ استغل بعض قادتها مثل "بريسيليا لودوسكي" و"ايريك درويه" المنصات الإلكترونية – مثل فيسبوك وتويتر – للدعوة للحركة، وبلورة أسبابها وعرض مطالبها، كما عرضت المنصات أخبار مستمرة عن الحركة، وتطورها، أماكن الاحتجاجات وموعدها، كما بثت الحوار الوطني بين ماكرون والمتظاهرين، وحتى أحداث العنف والقمع التي تعرض لها المتظاهرون، مما أكسب الحركة تواجداً مستمراً بين رواد تلك المنصات، وأكسبها طابع الجدية والاستمرار. وبناءً عليه، فإن استراتيجيات الحركة هي مزيج بين الاعتماد على مواقع التواصل الاجتماعي في الأساس لتنظيم الاحتجاجات والمسيرات الأسبوعية بالشوارع والميادين.

ج- تعبئة الأفراد للمشاركة في حركة السترات الصفراء

نجحت حركة السترات الصفراء في حشد أعداد كبيرة من المواطنين، حيث يرتبط مدى نجاح الحركة بعدد المشاركين بها والمؤيدين لها. وبلغت نسبة المشاركين من العمال 26%، وأصحاب المهن والحرف البسيطة 16%، ونسبة الموظفين 15% (https://shorturl.at/jnE09)، وقد وصل عدد المشاركين في الحركة منذ تنظيمها بين 28000 و30000 محتج، مما منحها الشرعية والجدية (Cole, 2020,pp.2-9). وهكذا فقد نجحت الحركة في حشد أعداد كبيرة من المواطنين، ومن طبقات عدة.

د- التماسك الداخلي لحركة السترات الصفراء

نجحت الحركة في تحقيق أهدافها من خلال التماسك والوحدة الداخلية، وتضم حركة السترات الصفراء طبقات اجتماعية مختلفة، وانتماءات سياسية متباينة، وهو الأمر الذي من شأنه أن يؤثر بالسلب على وحدة الأهداف والاتجاهات. وتضم حركة السترات الصفراء انتماءات سياسية عدة: 7.2% من اليمين المتطرف، و4.4% من أحزاب اليمين، و11.4% من أحزاب اليمين، و3.6% من اليسار المتطرف، و50.8% بدون أي انتماءات سياسية (https://shorturl.at/ehtUW). وبناءً عليه، من الممكن أن تؤثر الانتماءات السياسية المتباينة على تماسك الحركة.

يرتبط كلا المحددين المتعلقين بتعبئة الأفراد للمشاركة في الحركات الاجتماعية والتماسك الداخلي للحركة، وكما هو واضح في حالة حركة السترات الصفراء، فقد تنوعت الانتماءات السياسية للأعضاء، وهو ما يمكن أن يؤثر في التماسك الداخلي للحركة إذا لم تتم تنحية هذه الاختلافات جانباً

والتركيز على أهداف الحركة. وبخصوص حركة السترات الصفراء، كان تفككها بسبب الخلاف حول مستقبل الحركة.

ثانياً: المحددات الخارجية

أ- المحددات الاقتصادية

يتضح من دراسة حركة السترات الصفراء أن الحركة لم تعتمد على مصادر تمويل خارجية نظراً لعدم ثقتها في الأحزاب السياسية، أو جماعات الضغط والمصالح المحيطة، بل اعتمدت الحركة على مواقع التواصل الاجتماعي لحشد المشاركين بالحركة، وعلى استغلال المساحات العامة للتظاهر، وهي وسائل غير مكلفة.

ب- المحددات السياسية

تتمثل المحددات السياسية في الثقافة السياسية، القابلية للتحاور، الدعم الخارجي للحركة ودور وسائل الإعلام. ومن المهم التنبيه إلى اعتماد الحركة على الثقافة السياسية لحشد أعداد كبيرة للمشاركة فيها، وللحفاظ على استمرارها؛ حيث ذكرت الحركة الفرنسيين بتاريخهم، واستخدمت رموز الثقافة الفرنسية في الأنشطة الاحتجاجية، وتتمثل هذه الرموز في النشيد الوطني الفرنسي، والأعمال الفنية التي تعبر عن الجمهورية الفرنسية، والحرية، مع الشعارات والدعابات التي تعبر عن الحركة والعوامل التي أدت لقيامها (Derr,2020,pp.1-10).

وبخصوص القابلية للتحاور، دعا الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مع نهاية عام 2019، فنُظمت مجموعة من الاجتماعات والمناظرات المحلية والعامة لمناقشة القضايا العامة لحركة الصفراء تحديداً، واستقبال شكاوى الجماهير عبر المنصات الإلكترونية بشكل عام، وبناءً عليه، قرر ماكرون تأجيل بعض القرارات الاقتصادية، وتطبيق إصلاحات اجتماعية واقتصادية جديدة استجابةً لمطالب الحركة. ويشير الحوار المجتمعي بين ماكرون والجماهير إلى فعالية ذلك النمط من الحوار بنسبة تفوق تأثير المظاهرات العامة والأساليب العنيفة والتخريبية.

أما الدعم الخارجي للحركة، وأكدت استطلاعات الرأي التي أجرتها Harris Interactive أن 72% من الشعب الفرنسي مؤيدين لحركة السترات الصفراء، لكن 85% منهم معارضون لأعمال العنف والشغب (https://shorturl.at/fnFQ7)، كما لاقت الحركة الدعم من الأحزاب السياسية وجماعات الضغط والمصالح كافة.

واستعرضت دراسة مواقف موقعين إخباريين لكل منهما توجهه، هما جريدة Le Figaro المعارضة للحركة، وجريدة lePoint.fr المؤيدة لها، فبدا كيف صورت المنصة الأولى حركة السترات الصفراء في صورة الحركة غير الواضحة، وكيف يتنوع أعضاؤها ما بين متقاعدين وطلاب من ذوي إعاقة وغيرهم، كما أنها ركزت على جهود الحكومة في احتواء الأحداث التخريبية، بينما ركزت Lepoint على منع أحداث الشغب والتخريب من البداية، وأشارت إلى قمع الحركة بالعنف على يد الأجهزة الشرطية، وعلى تقديم الحكومة لحلول غير متوافقة مع مطالب الحركة. أي أن التغطية الإعلامية تعتمد على التوجهات السياسية للوسائل والمنصات الإعلامية، ولذلك يجب أن يكون القارئ على دراية بذلك الأمر حتى يتمكن من تحديد موقفه تجاه القضايا المختلفة (Tjahjani, 2020, pp.183-187).

ويتضح مما سبق أن موقف وسائل الإعلام من حركة السترات الصفراء متوقف على التوجهات السياسية لتلك الوسائل، وأن الوسائل الإعلامية المناهضة للحكومة ركزت على مشروعية مطالب الحركة، وعلى تعرض أعضائها للقمع والعنف من قبل الأجهزة الشرطية، أما الوسائل الإعلامية المؤيدة للحكومة فقد ركزت على عدم استقرار الحركة، والخلافات الداخلية بين أعضائها وعلى عدم أهلية المتظاهرين لتنظيم الحركة من الأساس.

الخاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن الحركات الاجتماعية مازالت ظاهرة اجتماعية وسياسية مؤهلة للبحث والدراسة، وأنه يمكن تحليلها من خلال مداخل ونظريات تفسيرية عدة وفقاً للحالة محل الدراسة من خلال التركيز على مراحلها المختلفة، حيث ثبت أن الحركات الاجتماعية ليست نشاطاً عشوائياً، ولكنها نشاط جماعي منظم ذو أهداف محددة وواضحة، كما أن نجاح الحركات الاجتماعية في تحقيق التغيير السياسي مقرون بمجموعة من المحددات الداخلية والخارجية التي تؤثر على فعالية دور الحركات الاجتماعية في تحقيق التغيير السياسي.

وبناءً على ما تقدم، تناولت الدراسة حركة السترات الصفراء كحركة اجتماعية بارزة بدأت عام 2018 في فرنسا احتجاجاً على تصاعد أسعار الغاز والوقود مما حمل الطبقات الوسطى – الدنيا والطبقة الدنيا بأعباء اقتصادية جديدة تزامناً مع الفترة التي بالكاد تكفي دخولهم الاحتياجات الأساسية فقط دون الاستعداد للتعامل مع أية أزمات طارئة. ومن ثم ظهرت طبقة اجتماعية جديدة تسمى

"بالطبقة الوسطى الصغيرة"، مما ينم عن الخلل الذي لحق بالطبقات الاجتماعية بفرنسا والذي من الممكن أن يهدد استقرار المجتمع، وهو الأمر الذي بدا واضحاً مع ظهور حركة السترات الصفراء وحركات أخرى مشابهة ومضادة لها.

كما يتضح أن حركة السترات الصفراء جديرة بتعريفها كحركة اجتماعية، حيث إنها شكلت تحدياً قوياً للنظام السياسي وما يضم من أحزاب سياسية، وجماعات ضغط ومصالح. وقد اتسمت الحركة بالتنظيم والاستمرارية، حيث تم تنظيمها أولاً من خلال مواقع التواصل الاجتماعي ثم تطورت إلى مظاهرات واحتجاجات فعلية بالشوارع والميادين أيام السبت من كل أسبوع، واستمرت لمدة 72 أسبوعاً وتوقفت فقط خلال فترة الحظر نتيجة وباء كورونا ثم استأنفت أنشطتها مرة أخرى، وأخيراً، تمثلت مطالب الحركة في التراجع عن قرار تصعيد الضرائب على أسعار الغاز والوقود، رفع الحد الأدنى للأجور والمعاشات، وتفعيل الخدمات العامة مرة أخرى، خاصةً بالمناطق الريفية وقد امتدت المطالب لبعض المحاور الأخرى المتعلقة بالسياسات الخارجية.

ويتضح أن للحركات الاجتماعية دوراً في تحقيق التغيير السياسي وإن كان ذلك التغيير جزئياً؛ ويمكن التدليل على ذلك من خلال حركة السترات الصفراء التي نجحت في التأثير على بعض السياسات العامة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، ولكنها لم تتمكن من تحقيق التغيير المتعلق بالسياسات الفرنسية الخارجية، فقد تراجع ماكرون عن قرار تصعيد الضرائب، وقام برفع الحد الأدنى للأجور، وقام بتفعيل الخدمات العامة بالمناطق النائية عن العاصمة، ولكن لم يستجب للمطالب المتعلقة بالسياسة الخارجية، مثل الانسحاب العسكري من أفريقيا أو انسحاب فرنسا من الاتحاد الأوروبي.

ولعبت بعض المحددات الداخلية والخارجية دوراً في فعالية حركة السترات الصفراء في تحقيق التغيير، فقد كان للقيادة الأفقية دور جزئي في نجاح الحركة؛ نظراً لسهولة عملية صنع القرارات، ولكنه فتح المجال للمتطرفين لاستغلال الحركة ومحاولة السيطرة عليها، ولكن لا يمكن إنكار أن الحركة كانت متماسكة داخلياً لمدة طويلة على الرغم من تعدد الايديولوجيات السياسية لأعضائها، وضمت أعداد كبيرة من المشاركين، ولكنها تفككت أخيراً، بسبب الخلاف حول مستقبل الحركة وانسحاب أهم الرموز منها، أما بخصوص المحددات الخارجية، فلم تلعب العوامل الاقتصادية كعامل مساعد للحركة نظراً لندرة الموارد المالية ورفض الحركة لأي دعم خارجي، ولكمن نجحت بعض المحددات السياسية

في فعالية الحركة مثل الثقافة السياسية التي تسمح بتنظيم الاحتجاجات والمظاهرات، القابلية للتحاور من خلال الاجتماعات وجلسات الحوار التي عقدها ماكرون، والدعم الخارجي للحركة على المستويين المحلي والدولي، أما وسائل الإعلام، فيعتمد الأمر على التوجهات السياسية للجهة الإعلامية المسئولة عن الترويج للأخبار. فقد سلطت بعض القنوات الإعلامية الضوء على مشروعية مطالب الحركة وقمع المتظاهرين من قبل الأجهزة الأمنية، ووقائع اعتقال المتظاهرين ورموز الحركة، بينما سلطت المواقع الأخر التركيز على أعمال الشغب والعنف التي قام بها بعض المواطنين وتعطيل الحركة للحياة اليومية للمواطنين.

وتأسيساً على كل ما تقدم وبالنظر خاصةً إلى تحليلنا لحركة السترات الصفراء، يمكن القول إن الحركات الاجتماعية ذات دور جزئي في التغيير السياسي، ولكن تتوقف فعالية هذا الدور على طبيعة الحركة ومدى ترابط أعضائها، وطبيعة القيادة داخلها، بالإضافة إلى مدى استجابة النظام السياسي للحركة ومطالبها. وقد كانت الحركات الاجتماعية دائماً وسيلة الشعوب المشروعة للمطالبة بحقوقهم في العدالة الاجتماعية والاقتصادية في الأنظمة الديمقراطية. وكانت فرنسا على مر التاريخ مهداً للحركات الاجتماعية، واتسمت مطالبها دائماً بالمناداة بالعدالة والحرية. وهكذا، كانت وستظل الحركات الاجتماعية دائماً ظاهرة هامة وبارزة جديرة بالبحث والدراسة.

قائمة المراجع

أولاً: مراجع باللغة العربية

- **الكتب:**

1- هانك جونستون (2018). **الدول والحركات الاجتماعية**، ترجمة أحمد زايد، المركز القومي للترجمة.

- **الدوريات والمقالات العلمية:**

1- عبد السلام نوير (2008). **الحركات الاجتماعية والسياسية:** دراسة نظرية، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، 25(1004).

2- ناهد عز الدين (2005). **مفهوم هيكل الفرص السياسية: صلاحية الاستخدام كأداة تحليلية في دراسة العمل الجماعي**. مجلة النهضة. مج 5. العدد 1. جامعة القاهرة.

ثانياً: مراجع باللغة الإنجليزية

- **BOOKS:**

1- Defronzo James, Gill Jungyun (2019). **Social Problems and Social Movements**, Rowman and Littlefield. The United States.

2- Devellennes Charles (2021).**The Gilets Jaunes and the New Social Contract**. Policy Press.

3- Salem Press (2013).Theories of social movement Salem Press.

4- Smelser Neil (1962). Theory of Collective Behavior. The Free Press. The United States.

5- Soule Sarah, Snow David (2010). **A Primer on Social Movements**. W.W.Norton and Company, New York. The United States.

- **THESIS:**

1- Bidé Yelena (2015). **Social Movements and Processes of Political Change (Doctoral dissertation**, Thesis doctoral). Brown University, Rhode Island, USA.

2- Cole Brady (2020). **"Liberté, Égalité, and Manifester: Explaining the Yellow Vest Movement in France"**. Honors Theses.

Hämäläinen Mari (2020). '**We are all leaders': Building understanding of informal contemporary social movement leadership, Case study: The yellow vests movement in France.** University of Helsinki. Master's Thesis.

- **ARTICLES AND PERIODICALS:**

1- Başbay Mustafa (2019),"**Yellow Vests: Western Economies Need a Paradigm Shift",** The World Research Centre, TRT World Research Centre.

2- Bianca Anastasia (2019). **# Gilets Jaunes: Exploring the yellow vest movement on social media**. University of Amsterdam.

3- Blagojević Ljiljana (2021). The "Yellow Vests" Movement as a Consequence of Disturbed Social Dialogue in France. **Ukrainian Policymaker, Volume 8, 26-35.**

4- Bristow Gabriel (2019). Yellow fever: populist pangs in France: Reflections on the gilets jaunes movement and the nature of its populism. Soundings: **A journal of politics and culture**, **72(72), 65-78.**

5- Buechi Rolf (2018). **The yellow vests – From Oligarchy to Democracy?.**

6- Bynum Elliott, Carew Laura, Jones Sam, Kishi Roudah, and Raleigh Clionadh (2021). **Political Disorder in Europe: 10 Cases from Acled's new expansion**. Armed Conflict Location & Event Data Project.

7- Chamorel Patrick (2019). Macron versus the yellow vests. **Journal of Democracy, 30(4).**

8- Derr Teresa (2020). **Culture in a Yellow Vest: The Role of Popular Culture in Social Protest**. WWU Honors Program Senior Projects. 372. Western Washington University.

9- Diani Mario (1992).The concept of social movement. **The sociological review, 40 (1).**

10- Gurney Neff Joan, Tierney J. Kathleen (1982). Relative deprivation and social movements: A critical look at twenty years of theory and research. **The sociological Quarterly 23(1), 33-47.**

11- Imhonopi David, Onifade Comfort, and Urim Ugochukwu (2013). Collective behavior and social movements: A conceptual review. **Research on Humanities and Social Sciences, 3(10).**

12- Jehan Aude (2018). The future of the EU endangered by the lack of social cohesion: The French yellow vests movement's resounding warning. **EU Topics. ISSN: 2174-8454 – Vol. 16.**

13- Jetten Jolanda, Mols Frank, Selvanathan Hema (2020). How economic inequality fuels the rise and persistence of the Yellow Vest movement. **International Review of Social Psychology, 33(1).**

14- Kempin Ronja, Tokarski Pawel (2019). Macron, the Yellow Vests and the national debate: playing for time, not solving the political legitimacy crisis. Stiftung Wissenschaft und Politik.

15- Kipfer Stefan (2019). What color is your vest? Reflections on the yellow vest movement in France. Studies in Political Economy, 100(3), 209-231.

16- McAdam Doug (1996). **Comparative Perspectives on Social Movements: Political Opportunities, Mobilizing Structures, and Cultural Framings**. Cambridge University Press.

17- Morozov Andrew, Petrovskii Sergei, (2019). The Yellow Vests Movement-a case of long transient dynamics?. University of Leicester. The United States.

18- Ravelli Quentin (2021). Fuel Feud. The Political Economy of the Yellow Vest. The Political Economy of Social Movements. In press. hal-03101145

19- Royall Frédéric (2019). The Gilets Jaunes protests: mobilization without third party support, Modern & Contemporary France. Political Disorder in Europe 10 cases From ACLED'S New Expansion. Taylor and Francis Online.

20- Saffer.J. Adam (2018). **Value added Theory. The International Encyclopedia of Strategic Communication**. John Wiley & Sons

21- Smith J. Heather, Pettigrew F. Thomas (2015). Advances in relative deprivation theory and research. Social Justice Research, 28(1).

22- Suh Doowon (2001). **How do political opportunities matter for social movements?: Political opportunity, misframing, pseudo success, and pseudofailure**. The Sociological Quarterly, 42(3).

23- Sultrier Doron, Kornblit Irit (2020). **French Yellow Vests (Gilets Jaunes): Similarities and Differences With Occupy Movements**. In Sociological Forum (Vol. 35, No. 2).

24- Tjahjani Joesana (2020, December). The Yellow Vests Manifestation: Media Framing on Political Articles in Online French Newspapers. In 1st International Conference on Folklore, Language, Education and Exhibition (ICOFLEX 2019) Atlantis Press.

25- Troiano Adam- Jais, Çelebi Elif, and Mahfud Yara (2020). **"Return of the repressed": Exposure to police violence increases protest and self-sacrifice intentions for the Yellow Vests**. Group Processes & Intergroup Relations, 23(8).

26- Trouillard Pauline (2021): **Repressing the Protests through Law, Police and Discourse: the Example of the Yellow Vests' Movement in France**, Journal of Contemporary European Studies.

- **ONLINE RESOURCES:**

1- **The Repression of France's Yellow Vests Has Left Hundreds in Jail — And Crushed Freedom of Protest**, https://jacobin.com/2020/11/gilets-jaunes-yellow-vests-protests-france-police-brutality Access Date:25/9/2021
2- **How the Yellow Vests are reinventing the French Politics**, https://wagingnonviolence.org/2019/01/how-the-yellow-vests-are-reinventing-french-politics/ Access Date: Access Dtae:25/9/2021
3- **France Protests: France PM Philippe suspends fuel tax rises**, https://www.bbc.com/news/world-europe-46437904 Access Date:23/9/2021
4- **France's Macron responds to Yellow Vests with promise of reforms,** https://www.bbc.com/news/world-europe-48059063 Access Date: 15/10/2021
5- **'Black vest' protesters storm Panthéon in Paris**, https://www.bbc.com/news/world-europe-48969438 Access Date: 24/12/2021
6- **France**, https://www.cia.gov/the-world-factbook/countries/france/ Access date: 10/8/2021
7- **Macron responds to Yellow Vest Protests with tax cuts**, https://www.dw.com/en/macron-responds-to-yellow-vest-protests-by-promising-tax-cuts-more-reforms/a-48490988 Access Date: 6/11/2021
8- **'The embers remain': one year since its inception, what has the Gilets Jaunes movement achieved?**, https://www.euronews.com/2019/11/15/yellow-vests-a-year-on-is-the-future-bright-for-france-s-fluorescently-dressed-protesters Access Date: 6/11/2021.
9- **'Red Scarves' and 'Blue Vests' launch counter protest against Yellow Vests**, https://www.france24.com/en/20190126-france-yellow-vests-counter-movements-demonstration-red-scarves-blue-vests-enough Access Date:22/10/2021.
10- **Key Points of Macron's plan after 'Great National Debate'**, https://www.france24.com/en/20190426-france-macron-speech-response-yellow-vest-protests-taxes-national-debate Access Date:16/10/2022.
11- **France's 2020 budget cuts taxes in bid to placate 'Yellow Vests',** https://www.france24.com/en/20190926-france-s-2020-budget-cuts-taxes-in-bid-to-placate-yellow-vests Access date: 16/10/2021
12- **The Return of the Yellow Vests provides a challenge to France's new government,** https://www.france24.com/en/20200912-the-return-of-the-yellow-vests-provide-a-challenge-to-france-s-new-government Access Date:15/8/2021
13- **Who Are France's Yellow Vest Protesters, And What Do They Want?,** https://www.npr.org/2018/12/03/672862353/who-are-frances-yellow-vest-protesters-and-what-do-they-want Access Date:9/8/2021
14- **Gilets Noirs – the undocumented migrant collective taking Paris by storm,** https://www.opendemocracy.net/en/can-europe-make-it/gilets-noirs-the-undocumented-migrant-collective-taking-paris-by-storm/ Access Date:24/12/2021

15- **French 'Yellow Vest' tussle with police as Paris protests resume,** https://www.reuters.com/article/us-france-protests-idUSKBN2630L5 Access date: 25/9/2021
16- **10,000 march in Paris in "Red Scarves" counter protest to Yellow Vests,** https://www.rfi.fr/en/france/20190127-red-scarves-denounce-yellow-vests-paris-republican-march-macron Access Date:7/11/2021
17- **Ideological divisions in the 'Yellow Vests' movement,** https://www.rosalux.eu/en/article/1435.ideological-divisions-in-the-lyellow-vestr-movement.html Access Date:31/7/2021
18- **Share of Participants in the "Yellow Vests" movement in France in February 2019, by socio-Professional category,** https://www.statista.com/statistics/1075088/protesters-yellow-vest-socio-professional-background-france/ Access Date: 31/7/2021
19- **Why is Macron abolishing France's school for the political class?,** https://www.theguardian.com/commentisfree/2021/apr/12/macron-abolishing-france-elitist-school-president-ena-french-voters Access date: 23/10/2021
20- **Tens of Thousands of Public Sector Workers strike across France,** https://www.theguardian.com/world/2018/mar/22/thousands-of-public-sector-workers-go-on-strike-across-france Access date: 28/7/2018
21- **Just who are the gilets jaunes?,** https://www.theguardian.com/world/2019/feb/09/who-really-are-the-gilets-jaunes Access Date: 24/9/2021
22- **Who are France's Red Scarves and what do they want?,** https://www.trtworld.com/europe/who-are-france-s-red-scarves-and-what-do-they-want-23670 Access date: 21/10/2021
23- **Macron Vs. Le Pen 2022: What to know about France's Presidential election runoff,** https://www.washingtonpost.com/world/2022/04/21/macron-le-pen-france-election-runoff/ Access Date: 20/9/2022
24- **Yellow vests, rising violence – what's happening in France?** https://www.weforum.org/agenda/2020/02/france-protests-yellow-vests-today/ Access date: 15/8/2021
25- **Le programme de Marine Le Pen (Rassemblement national),** https://www-estrepublicain-fr.translate.goog/elections/2022/02/02/le-programme-de-marine-le-pen-(rassemblement-national)?_x_tr_sl=fr&_x_tr_tl=en&_x_tr_hl=en&_x_tr_pto=sc Access Date: 20/9/2022
26- Jonathan Christiansen.(2009),Four Stages of Social Movements, EBSCO Research Starters Access date: 26/1/2020